دولة ماليزيا

وزارة التعليم العالي (KPT)

جامعة المدينة العالمية

كلية العلوم الإسلامية

قسم التفسير وعلوم القرآن

آيات التوبة في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

بحث تكميلي مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

اسم الباحث: سفري محمد زين

تحت إشراف: الدكتور عمر إبراهيم أحمد رضوان

كلية العلوم الإسلامية

قسم التفسير وعلوم القرآن

٢٠١٢م/ ١٤٣٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ سورة التحريم (٨).

الإهداء

إلى من رباني وعلمني وأضاء لي طريق العلم والمعرفة والصبر والطموح...

والديّ

.....كما ربياني صغيراً

أهدي هذا العمل

صفحة الإقرار:

أقرت جامعة المدينة العالمية بماليزيا بحث الطالب سفري محمد زين

من الآتية أسمائهم:

18/9/2012

الأستاذ المساعد الدكتور عمر إبراهيم أحمد رضوان

المشرف

الدكتور
عامر نايف الزويعي
دكتوراه في التفسير

الأستاذ المساعد الدكتور عامر نايف الزُّوبَعي

الممتحن الداخلي

الأستاذ الدكتور رضوان جمال

الممتحن الخارجي

ASST PROF. DR. DOUKOURE MASSIRE
Dean, Institute of Post Graduate Studies
Al-Madinah International University

الأستاذ المساعد الدكتور دوكوري ماسيري

رئيس لجنة المناقشة

APPROVAL PAGE

The dissertation of SAFRI MUHAMMAD ZEIN has been approved by the following:

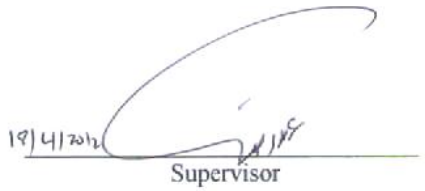

Supervisor

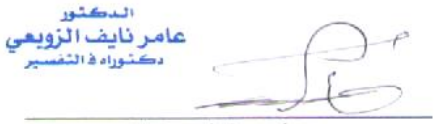

Internal Examiner

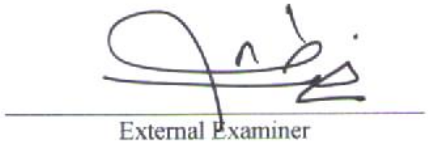

External Examiner

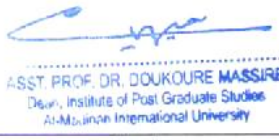

Chairman

إقرار:

أقر بأن هذا البحث هو من عملي الخاص، قمت بجمعه ودراسته، وقد عزوت النقل والاقتباس إلى مصادره.

اسم الطالب: سفري محمد زين

التوقيع .....

التاريخ 18/4/2012 .....

DECLARATION

I hereby declare that this dissertation is the result of my own investigation, except where otherwise stated.

SAFRI MUHAMMAD ZEIN

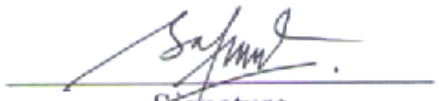

Signature

18/4/2012.

Date

جامعة المدينة العالمية

إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية الأبحاث العلمية غير المنشورة

حقوق الطبع ٢٠١٢ م © محفوظة

سفري محمد زين

آيات التوبة في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل أو صورة من دون إذن مكتوب من الباحث إلا في الحالات الآتية:

١. يمكن الاقتباس من هذا البحث بشرط العزو إليه.

٢. يحق لجامعة المدينة العالمية بماليزيا الإفادة من هذا البحث بشتى الوسائل وذلك لأغراض تعليمية، وليس لأغراض تجارية أو تسويقية.

٣. يحق لمكتبة جامعة المدينة العالمية بماليزيا استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشورة إذا طلبتها مكتبات الجامعات، ومراكز البحوث الأخرى.

أكد هذا الإقرار: سفري محمد زين

التوقيع .....

التاريخ 18/4/2012

مُقَدِّمَة

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٢).

أما بعد،

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وأسألك اللهم الهداية والتوفيق، وأعوذ بك أن تزل القدم بعد ثبوتها على الصراط المستقيم، أو ينحرف القلم عن الصواب، أو يلتوي اللسان عن الحق، ولا حول ولا قوة إلا بك.

فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾(٣) وقال الرسول ﷺ: (التَّائِبُ مِنْ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ)(٤).

فإن القرآن الكريم كان مددا رائقا لكل باحث ومنقّب، وذخيرة لا تنفد لكل من ينشد العون والمثالية المطلقة، فمن معينه يرتوون ومن أفكاره يقتبسون، ومن هداه يسترشدون، ومن سحر بيانه وروعة أسلوبه يتأثرون.

وقد تضمن القرآن الكريم كثير من الآيات التي تتحدث عن التوبة و الإنابة والأوب.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧٠- ٧١.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٢٥.

(٤) ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، المتوفى (٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، (٢ / ١٤١٩) رقم الحديث (٤٢٥٠) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار الفكر - بيروت.

وسوف أتناول في هذا البحث – بمشيئة اللة – آيات التوبة التي وردت في القرآن الكريم في أكثر من موضع وسيكون البحث بمشيئة الله تعالى:

(آيات التوبة في القرآن الكريم: دراسة موضوعية)

فالتوبة واجبة على كل مؤمن ذو ذنب كبير أو صغير، وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة على وجوب التوبة. قال الله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾[1].

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ)[2]، فالمسلم العاقل هو الذي يقوم نفسه ويأخذ بزمامها إلى ما فيه مرضاة الله تعالى ورسوله، وإن جنحت نفسه يوما للوقوع في المعاصي، والانهماك في الشهوات المحرمة، يعلم أن الخالق غفور رحيم، يقبل التوب ويعفو عن السيئات، وأنه مهما أسرف في الذنوب ثم تاب منها فإن الله يغفرها جميعاً، وأن الله هو التواب الرحيم. قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[3].

الدراسات السابقة:

اهتم كثير من الباحثين بموضوع التوبة لحيويته وكونه ضروريا لكل مسلم ليجدد العهد مع الله عزوجل ويطهر نفسه من الذنوب والخطايا وكان منها:

أ- "التوبة في ضوء القرآن" إعداد: آمال صالح سالم نصير، رسالة علمية لنيل درجة الماجستير في التفسير، من كلية التربية بجدة.

فسرت آيات التوبة تفسيرا فقهيا، واستنبطت الأحكام الفقهية منها، ولم تذكر جميع الآيات التي تتعلق بالتوبة.

ب- وهناك مقالة عن "عدد آيات التوبة في القرآن" في منتدى أنسابكم، منتدى أهل السنة والجماعة.

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٨.

(٢) انظر المرجع السابق نفسه في سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة (١٤٢٠/٢) رقم الحديث (٤٢٥١).

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٤.

ذكرت آيات التوبة الواردة في القرآن الكريم فقط بدون أن تذكر شيئا من أحكام التوبة. هذا ما تمكنت من الوقوف عليه وفي ظني أن الموضوع لا زال يحتاج لكتابة علمية مستوفاة تجمع متفرقها وتلم شعثها ولعلي أوفق لذلك.

أهداف البحث:

إن من أهم الأهداف المرجو تحقيقها من خلال هذا البحث مذكورة في النقاط التالية:

أ- التعريف بالتفسير الموضوعي.

ب- التعريف بالتوبة وبيان أحكامها وشروطها وبيان آراء العلماء فيها.

ج- التعرف على حقيقة التوبة وأهميتها في حياة المسلم.

د- تطهير المسلم من الذنوب والمعاصي بالتوبة والاستغفار.

ه- توضيح الفرق بين التوبة والأوب والإنابة.

و- ذكر آيات التوبة في القرآن الكريم وبيان معانيها عند المفسرين.

مشكلة البحث:

تحدث القرآن الكريم عن التوبة بشكل لا نظير له إلا أن كثير من المسلمين مازالوا يجهلون حقيقتها وأحكامها وزمانها وقبولها وقصصها وشروطها فيما يتعلق بحقوق الله وحقوق العباد، وهذا البحث يقوم بدراسة موضوعية لآيات التوبة في القرآن الكريم ليقدم للناس رواية متكاملة حول هذا الموضوع المهم.

حدود البحث:

دراسة الآيات القرآنية التي تحدثت عن التوبة ونظائرها في القرآن الكريم، مع الاستعانة بما ورد في السنة النبوية حول الموضوع.

منهج البحث:

سيكون المنهج المتبع – بإذن الله تعالى – في هذا البحث: المنهج الاستقرائي والتحليلي، والأصل منه لصياغة البحث صياغة موضوعية. وقد اتبعت في كتابة البحث المنهجية التالية:

أ- جمع الآيات المتعلقة بموضوع البحث وتوثيقها.

ب- ترتيب الآيات بما يتوافق بموضوع البحث.

ج- الرجوع إلى المصادر القديمة والحديثة من كتب التفسير.

د- الاستعانة بالسنة النبوية لبيان بعض المعاني ذات الصلة بموضوع التوبة.

ه- استخلاص ما في الآيات من دلالات وهدايات بغية توظيفها في توضيح الموضوع.

هيكل البحث:

ينقسم البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول، ويندرج تحت كل الفصول مباحث، وتحت المباحث مطالب حسب الحاجة.

وقد جاء البحث بمقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة وفهارس وتفصيلها كالآتي:

آيات التوبة في القرآن الكريم دراسة موضوعية.

التمـــهيد وهو في مبحثين:

المبحث الأول: التفسير الموضوعي ودوره في فهم القرآن الكريم.

المطلب الأول: تعريف التفسير الموضوعي لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: دور التفسير الموضوعي وأهميته في فهم نص القرآن الكريم.

المبحث الثاني: التوبة ومكانتها عند الله عز وجل.

المطلب الأول: صلة التوبة بأسماء الله تعالى الحسنى.

المطلب الثاني: أهمية التوبة ومكانتها في حياة المسلم.

الفصل الأول : تعريف التوبة وشروطها وأحكامها وزمانها.

المبحث الأول: تعريف التوبة لغة واصطلاحا.

المطلب الأول: تعريف التوبة لغة.

المطلب الثاني: تعريف التوبة اصطلاحا.

المبحث الثاني: شروط التوبة وفيه مبحثان.

المطلب الأول: شروط التوبة فيما يتعلق بحق الله.

المطلب الثاني: شروط التوبة فيما يتعلق بحقوق الناس.

المبحث الثالث: أحكام التوبة وزمانها.

المطلب الأول: حكم التوبة.

المطلب الثاني: هل قبول التوبة مؤكد؟.

المطلب الثالث: التوبة عن بعض الذنوب دون بعض.
المطلب الرابع: العود للمعصية بعد التوبة من الذنوب.
المطلب الخامس: زمان التوبة.
الفصل الثاني: آيات التوبة في القرآن الكريم.
المبحث الأول: آيات التوبة في القرآن الكريم وبيان معانيها وأقوال المفسرين فيها وصيغها.
المطلب الأول: آيات التوبة في القرآن الكريم وبيان معانيها وأقوال المفسرين فيها.
المطلب الثاني: صيغ التوبة في القرآن الكريم.
البحث الثاني: الفرق بين التوبة، الأوب، الإنابة.
المطلب الأول: التوبة، مع ذكر الآيات الواردة فيها في القرآن الكريم.
المطلب الثاني: الأوب، مع ذكر الآيات الواردة فيه في القرآن الكريم.
المطلب الثالث: الإنابة، مع ذكر الآيات الواردة فيها في القرآن الكريم.
المبحث الثالث: الذنوب وأقسامها ومحوها بالتوبة والاستغفار وفوائد التوبة والاستغفار.
المطلب الأول: تعريف الذنوب لغة واصطلاحا.
المطلب الثاني: أقسام الذنوب.
المطلب الثالث: أسباب ارتكاب الإنسان للذنوب.
المطلب الرابع: حكم الاستغفار وفضله.
المطلب الخامس: فوائد التوبة والاستغفار.
الفصل الثالث : قصص بعض التائبين في القرآن الكريم.
المبحث الأول: قصص التائبين من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.
المطلب الأول: قصة توبة آدم عليه السلام.
المطلب الثاني: قصة توبة نوح عليه السلام.
المطلب الثالث: قصة توبة داود عليه السلام.
المطلب الرابع: قصة توبة سليمان عليه السلام.
المطلب الخامس: قصة توبة يونس عليه السلام.
المطلب السادس: قصة توبة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني: قصة التائبين من أصحاب رسول الله ﷺ.

المطلب الأول: قصة توبة الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله في غزوة تبوك.

المطلب الثاني: قصة توبة ماعز الأسلمي من الزنا.

المطلب الثالث: قصة توبة الغامدية من الزنا.

الخاتمة.

وقد تضمنت أهم النتائج التي يمكن اصتخلاصها من بحث آيات التوبة في القرآن الكريم، وكذلك تضمنت بعض المقترحات والتوصيات ذات العلاقة بموضوع التوبة.

الفهارس.

هذا وقد سرت في ثنايا هذا البحث على خطوات المنهج الاستقرائي والتحليلي، وقد حاولت جاهداً في كل ما عرضت وناقشت من الأفكار والآراء المتسمة بالأصالة البحثية ما أمكن لي ذلك، فاعتمدت على كتاب الله وتفاسيره وأحاديث نبيه ﷺ وشروحه المعتبرة، وكتب العلماء المشهورة والمعتمدة والتي كان بحثي له صلة وثيقة بها.

ملخص البحث:

يركز هذا البحث في دراسة آيات التوبة في القرآن الكريم دراسة موضوعية مستخدما المنهج الاستقرائي والتحليلي، ويتضمن البحث التمهيد وثلاثة فصول، ويسعى الباحث في التمهيد في بيان حول التفسير الموضوعي ودوره في فهم القرآن الكريم ، ومن ثم بيان التوبة ومكانتها عند الله عز وجل. كما يتطرق الباحث في الفصل الأول في تعريف التوبة وشروطها وأحكامها وزمانها.

وفي الفصل الثاني كان اهتمام الباحث في بيان آيات التوبة في القرآن الكريم، وصيغها، والفرق بين التوبة، والأوب، والإنابة، وبيان الذنوب وأقسامها، وأسباب ارتكابها، وحكم الاستغفار، وفوائد التوبة والاستغفار.

وفي الفصل الثالث يركز الباحث في بيان قصص التائبين في القرآن الكريم من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وبعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

وأخيرا توصل الباحث إلى بعض النتائج في بحثه، فمن أهمها:

– التوبة هي: ترك الذنوب والمعاصي والندم والعزم على عدم العودة على فعلها وتدارك هفواته ما أمكنه، ورد المظالم إلى أهلها.

– التوبة واجبة على الإنسان فوراً عقلاً وشرعاً، فالعقل يحكم بوجوب الاحتراز عن الذنوب التي تدخل العبد في المهالك، وتضيع عليه ثواب الآخرة، أما شرعاً، فلقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿...وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2]. وقال الرسول ﷺ: (التَّائِبُ مِنْ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ)[3]، وأما في وجوب التوبة على الفور فلاشك فيه، لأن ضرر الذنوب يجب دفعه على الفور فلا مجال للتسويف والتأخير.

– إن للتوبة صلة وارتباط وثيق بأسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العليا، فالله عزوجل أضفى على التوبة شرف ارتباطها بأسمائه الحسنى على سبيل بيان رحمته ومنته وفضله وإحسانه على سبيل ثنائه على نفسه جل وعلا. فحينما ذكر جل وعلا في كتابه العزيز أنه يقبل التوبة عن عباده ويرحمهم، ذكر وربط قبول التوبة والرحمة باسمين من أسمائه قال تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[4].

– التوبة من الأمور التي يحتاج إليها العبد المؤمن، لأنه بطبيعته مذنب، فيحتاج لها في جميع حياته، بل كل يوم من أيام حياته. والحاجة للتعرف على الأحكام المتعلقة بالتوبة.

– الأثر الفعال للتوبة في تهذيب النفس، وتقويم السلوك البشري.

– ورد ذكر التوبة في كتاب الله الكريم على لسان النبيين والمرسلين و الصالحين، وذلك أن التوبة انفعال يجري على الطبيعة البشرية على حد سواء.

– قيمة التوبة من الناحية العلمية والعملية في حياة البشرية.

– ورد نظائر متعددة للتوبة في كتاب الله الكريم مثل الإنابة، الأوب .. مما يؤكد سعة الموضوع وتعدد جوانبها.

– غفلة كثير من الناس عن حقيقة التوبة وجزائها في الآخرة.

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٨.

(٢) سورة النور، الآية: ٣١.

(٣) ابن ماجه، سبق تخريجه في ص (١) .

(٤) سورة البقرة، الآية: ٣٧.

- الاستجابة لأمر الله سبحانه وتعالى، وهي سبب لدخول الجنة، كقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

- سبب من أسباب الرزق، كقوله تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾[2].

- سبب في تبديل السيئات إلى حسنات، كقوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[3].

- يدفع العقوبة والعذاب قبل وقوعهما كقوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾[4].

- سبب في تطهير القلوب، كقوله تعالى: ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَن يَشَاء وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[5].

- سبب في نزول الغيث، وزيادة القوة، المال، والبنين، وإيتاء كل ذي فضل فضله، كقوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ﴾[6]. وقال الله تعالى أيضا: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾[7].

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٨.

(٢) سورة هود، الآية: ٣.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٧٠.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٧٤.

(٥) سورة التوبة، الآية: ١٥.

(٦) سورة هود، الآية: ٥٢.

(٧) سورة نوح، الآية: ١٠-١١-١٢.

وختاما أتقدم بجزيل الشكر إلى جامعة المدينة العالمية التي أتاحت لي الفرصة لأزداد من العلم الشرعي وللعاملين فيها، وعلى رأسهم فضيلة **الأستاذ الدكتور محمد بن خليفة التميمي** الذي على يده الميمونة نمت هذه الجامعة وترعرعت وأصبحت مفخرة للمسلمين، ولسعيهم الحثيث في سبيل نشر الإسلام وإعلاء كلمة الله. كما أتقدم من أعماقي بجزيل الشكر وخالص التقدير إلى من غمر البحث باهتمامه ورعايته وكانت له عليّ أنصع الأيادي إرشادا ونصحا وتوعية وتصويبا أستاذي فضيلة **الأستاذ الدكتور عمر إبراهيم أحمد رضوان** الذي لم يأل جهدا في توجيهي نحو الأصوب من الأقوال والأصح من الآراء رغم المهام العظيمة التي يقوم بها بحكم منصبه في فترة إشرافه على هذه الرسالة، فله مني كل الثناء والشكر. كما أتقدم بجزيل الشكر والامتنان على كلية العلوم الإسلامية وعلي رأسها عميد الكلية سعادة **الأستاذ المساعد الدكتور مهدي عبد العزيز**، حفظه الله، ووفقه لما يحب يرضى. ولا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بخالص التقدير والاعتزاز إلى عمادة الدراسات العليا المتمثلة في عميدها **الأستاذ المساعد الدكتور دوكوري ماسيري** – حفظه الله- وغيره من الموظفين المنتسبين إليها. وكما أتقدم بجزيل الشكر والامتنان لفضيلة **الدكتور عامر نايف الزَّوْبَعِي** الممتحن الداخلي وسعادة **الدكتور رضوان جمال** الممتحن الخارجي. وأرجو من الله تبارك وتعالى أن يزيدهما فضلا وعلما، وأن أستفيد من ملاحظتهم وتوجيهاتهم. راجيا من الله العلي القدير أن يجزي الجميع خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التوّاب الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

سفري محمد زين

التمهيدي

المبحث الأول: التفسير الموضوعي ودوره في فهم القرآن.

المطلب الأول: تعريف التفسير الموضوعي لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: دور التفسير الموضوعي وأهميته في فهم نص القرآن الكريم.

المبحث الثاني: التوبة ومكانتها عند الله عز وجل.

المطلب الأول: صلة التوبة بأسماء الله الحسنى.

المطلب الثاني: أهمية التوبة ومكانتها في حياة المسلم.

تمهيد

التوبة هي العبادة الوحيدة التي تعتبر كل لحظة في العمر ظرفاً مناسباً لها حيث يطلب من العبد أن يتوب في كل وقت من أوقاته، فلا يوجد أي ظرف يوقف أو يعطل التوبة. فالتوبة وظيفة متجددة يخاطب بها جميع الناس، المسلم والكافر والبر والفاجر والسني والمبتدع، كل الناس مطالبون بالتوبة إلى الله تعالى، فهي وظيفة متجددة.

فقد جعل الإسلام للتوبة المكانة العظمى والمنزلة الأسمى، ومن وفقه الله تعالى إليها فقد نال خيراً كثيراً، وعلى رأس هذا الخير محبة الله سبحانه وتعالى للتائب ورضوانه عنه ومغفرته له. والتائب يمتلئ قلبه لله محبة وإجلالاً وتعظيماً، وتذل نفسه لله، وتخضع، ويظهر انكسار العبد لربه وافتقاره إليه[1]. ومن أعرض عن التوبة فقد حرم نفسه من أعظم خير معروض عليه، وضيع فرصة مقدمة إليه وليس وراء حرمان نفسه منها إلا الهلاك والخسران.

فما ظنك بوظيفة وعمل وعبادة تنقل الإنسان من صف أولياء الشيطان إلى صف أولياء الرحمن، تنقله من سخط الله وغضبه إلى رضوانه وعفوه ومحبته، ومن استحقاقه العقوبة عدلاً على أفعاله إلى ترك معاقبته من جهة ومعاملته بالمحبة من جهة أخرى فضلاً وإحساناً.

التوبة تنقل العبد من خسارة أبدا إلى ربح أبدا، ومن استحقاق نار الجحيم إلى الفوز بجنة النعيم. فالسعيد من عرفها ومارسها واستدامها حتى ساعة فراق الدنيا.

كما أن التوبة سبب في تطهير القلوب، قال الله تعالى: ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[2].

---

(١) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الكتاب: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط٢، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ١٣٩٣ هـ– ١٩٧٣م، (٣١١/٣) بتصرف.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٥.

قال ابن جرير الطبري- رحمه الله -[1]: ويمن الله على من يشاء من عبيده الكافرين فيقبل به إلى التوبة بتوفيقه إياه[2].

والتوبة والاستغفار سبب في نزول الغيث، وزيادة القوة، والمال، والبنين، وإيتاء كل ذي فضل فضله، قال الله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ﴾[3]. قال ابن كثير- رحمه الله-[4]: ثم أمرهم بالاستغفار الذي فيه تكفير الذنوب السالفة، وبالتوبة عما يستقبلون من الأعمال اللاحقة ومن اتصف بهذه الصفة يسر الله عليه رزقه، وسهل عليه أمره وحفظ عليه شأنه وقوته[5]، وقال الله تعالى أيضا: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾[6]، قال ابن كثير-رحمه الله-: إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه، كثر الرزق عليكم، وأسقاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت لكم الزرع، وَأَدَرَّ لكم الضرع، وأمدكم بأموال وبنين، أي: أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار، وخللها بالأنهار الجارية بينها[7]

---

(١) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام الطبري الذي عاش بين (٨٣٨ م-٩٢٣م) (٢٢٤ هـ آمل، طبرستان - ٢٦ شوال ٣١٠ هـ) مؤرخ ومفسر وفقيه مسلم صاحب أكبر كتابين في التفسير والتاريخ. يعتبر من أكبر علماء الإسلام تأليفًا وتصنيفًا. انظر: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، (١٩٢/٤).

(٢) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، ط١، الناشر: مؤسسة الرسالة،١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، (١٦٢/١٤).

(٣) سورة هود، الآية: ٥٢.

(٤) الإمام المحدث الحافظ ذو الفضائل عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القيسي البصروي: ولد بمجدل القرية (اسم للبلدة التابعة لبصرى) من أعمال مدينة بصرى في سنة إحدى وسبعمائة، مات في شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة. انظر: أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: ذيل طبقات الحفاظ للذهبي للسيوطي – دراسة، وتحقيق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية، (١ / ٢٣٨).

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المعروف تفسير ابن كثير، المحقق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، (٤ / ٣٢٩).

(٦) سورة نوح، الآية: ١٠-١١-١٢.

(٧) تفسير ابن كثير (٨ / ٢٣٣).

المبحث الأول: التفسير الموضوعي ودوره في فهم القرآن الكريم.

المطلب الأول: تعريف التفسير الموضوعي لغة واصطلاحا.

يتكون مصطلح التفسير الموضوعي من جزأين (التفسير) و(الموضوعي) فلا بد من التحليل لهذا المركب الإضافي الوصفي المكون من جزأين: (التفسير الموضوعي) كما سمي به غيره من الفنون مثل: أصول الفقه وأصول الحديث وأصول التفسير، ثم التحدث عن طرفيه وعن الإضافة بينهما، ثم عن المراد من هذا المركب بعد نقله وتسميته هذا الفن المدوّن.

التفسير لغة: مأخوذ من "الفَسْر" بمعنى البيان. فسر الشئ يفسره، بالكسر، وفسره، بالضم، فسراً وفسره: أبانه، والتفسير مثله[1].

وفي المعجم الوسيط التفسير هو: مأخوذ من (الفسر) بمعنى: الشرح والبيان، يقصد منه توضيح معاني القرآن الكريم وما انطوت عليه آيات من عقائد وأسرار وحكم وأحكام[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[3]. أي أحسن من مثلهم تفصيلا[4]، أي أحسن توضيحاً وبياناً للمطلوب[5]. و لم يرد هذا اللفظ في القرآن الكريم إلا في هذه الآية فقط.

وفي الاصطلاح: قد اختلفت عبارات العلماء في تعريف التفسير ويستحسن اختيار ما كان منها مختصراً وجامعاً ومانعاً. هو علم بيان وكشف معاني القرآن الكريم، ذلك

---

(١) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، (المتوفى: ٧١١هـ) لسان العرب، ط٣، الناشر: دار صادر بيروت، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م، (٥ /٥٥).

(٢) إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد. وأشرف على الطبع: حسن على عطية، محمد شوقي أمين، المعجم الوسيط، ط٢، القاهرة، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، (٦٨٨).

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٣٣.

(٤) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، راجعه وضبطه وعلق عليه، الدكتور محمد إبراهيم الحفناوي، طبع، نشر، وتوزيع، دار الحديث، ١٣٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، (١٣ / ٣٠).

(٥) مصطفى مسلم، مباحث في تفسير الموضوعي، ط٤، دار القلم، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م)، (١٥).

الكتاب الذي نَزَلَ على الرسول ﷺ معجزة يتحدى به الناس؛ لإثبات رسالته ﷺ ولبيان شرعيته، وبيان مراد الله تعالى منها حسب الطاقة البشرية[١].

الموضوع لغة: من الوضع، وضع الشيء في مكانه: أثبته فيه، سواء كان ذلك بمعنى الحط والخفض، أو بمعنى الإلقاء والتثبيت في المكان[٢]. قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[٣].

وفي الاصطلاح: قضية، أو أمور تتعلق بجانب من جوانب الحياة في العقيدة، والعبادة والأدب والعبرة والموعظة أو السلوك الاجتماعي أو مظاهر الكون تعرضت لها آيات القرآن الكريم[٤].

أما تعريف التفسير الموضوعي: بعد أن تطور مفهوم (التفسير الموضوعي) في العصر الحديث، فصار علما جديدا أو فنا من الفنون المدونة، تأسس لكي يبين لونا جديدا من إعجاز القرآن الكريم، فقد تعددت تعريفات الباحثين المعاصرين له. منها:

ـــ هو بيان ما يتعلق من موضوع من موضوعات الحياة الفكرية أو الاجتماعية أو الكونية من زاوية قرآنية للخروج بنظرية قرآنية بصددها[٥].

ـــ ومن تعريف التفسير الموضوعي هو: علم يبحث في قضايا القرآن الكريم، المتحدة معنى أو غاية، عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها، على هيئةٍ مخصوصة، وبشروط مخصوصة لبيان معناها، واستخراج عناصرها، وربطها برباط جامع[٦].

من هنا نستطيع أن نقول بأن تفسير الموضوعي هو: شرح وبيان وجمع آيات متعددة من سور شتى، لينظر فيها الأحكام، وليستخرج فيها موقف القرآن الكريم من معنى من المعاني التي وردت فيه.

فالمقصود من التفسير الموضوعي: هو الذي تُجمع فيه قضايا القرآن الكريم، وتُفْسر تفسيراً علمياً على موضوع واحد مركزاً عليه، وتُدوّنُ في بحث مفرد على كل عناصر

---

(١) المرجع السابق، مباحث في تفسير الموضوعي (١٦).

(٢) لسان العرب، لابن منظور (٨ / ٩٩).

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٤٧.

(٤) مباحث في التفسير الموضوعي (١٦).

(٥) المرجع السابق، مباحث في تفسير الموضوعي (١٦).

(٦) عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط٢، ١٤١١هـ-١٩٩١م، (ص/٢٠).

الموضوع، أو يكون كتابا جامعا على نمط موسوعات في التفسير، ينحصر كل موضوع في بحث مستقل، بحيث يرجع الباحث إلى الموضوع الذي يريده، ليعلم موقف القرآن منه في يسر وسهولة، وهذا النوع من التفسير الموضوعي لا يوجد منه في المكتبات إلا قطعا يسيرة متفرقة، و نرجو من الله تعالى أن يوفق الباحثين في متابعة التأليف فيه، لا سيما وقد برزت حاجته الماسّة إلى هذا اللون من التفسير.

المطلب الثاني: دور التفسير الموضوعي وأهميته في فهم النص القرآن الكريم.

قال الله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1].دلت الآيات على أن القرآن الكريم هو حجة الله البالغة التي به تقوم معالم الشريعة وتثبت دعائم الفضيلة وهو العصمة الواقية والنعمة الخالدة،كما قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾[2]، وقال الله تعالى: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً﴾[3]، تضمنت الآية الأمر بتدبر القرآن.

وفي آية أخرى يبين الله تعالى أن القرآن الكريم كتاب هداية ورشد ومصدر التربية، وليس كتاب تاريخ أو قصص ووقائع، وإن كان لا يخلو منها ولكن ذكرها للعبرة والاتعاظ، ومِن هنا فهو سواء أكان في مجموعه أو في بعض سوره فهو يمثل وحْدة موضوعية واحدة متناسقة مترابطة مثل حلقات سلسلة الذهب، سواء كان معروفاً أو مجهولاً، فيقول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[4]، يهدي للطريقة التي هي أحسن الطرق وأكملها وأسدها وأرشدها في جميع شئوون الحياة، فإنّ الغفلة عن القرآن الكريم دليل قسوة القلب وانصرافه عنه، وهو دليل مقت الله للعبد، وهذا أشد ما يعاقب به، لذا جاء الأمر بالاتعاظ بالقرآن الكريم وتدبره، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[5]، وقد سماه الله روحا لأنه يؤدي إلى الحياة الأبدية، يحيي به القلوب، ويشرح به الصدور، وينور به البصائر، ولولا الروح لمات الجسد، قال الله تعالى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[6]، وقال الله تعالى أيضا:

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٥.

(٢) سورة ص، الآية: ٢٩.

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٩.

(٥) سورة القمر، الآية: ١٧.

(٦) سورة غافر، الآية: ١٥.

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا﴾[1].

من هذه الآيات تبين لنا أهمية التفسير الموضوعي،

ـــ إن تجدد حاجات المجتمعات وبروز أفكار جديدة على الساحة الإنسانية وانفتاح ميادين للنظريات العلمية الحديثة لا يمكن تغطيتها ورؤية الحلول الصحيحة لها إلا باللجوء إلى التفسير الموضوعي للقرآن الكريم [2].

ـــ عن طريق التفسير الموضوعي يستطيع الباحث أن يبرز جوانب جديدة من وجوه إعجاز القرآن الكريم الذي لا تنقضي عجائبه[3].

ـــ إن تخصيص موضوع بالبحث وجمع أطرافه والاطلاع على أسباب النزول للآيات المتعلقة به، وتحديد المراحلة التي نزلت الآيات الكريمة تعالج بعض جوانبه، وتوجيه ما ظاهره التعارض، كل ذلك يهيّئ للموضوع جوّاً علمياً لدراسة هذا الموضوع بعمق وشمولية تُثري المعلومات حوله وتبلور قضاياه وتبرز معالمه[4].

وهنا يكمن دور التفسير الموضوعي في جمع حقائق القرآن الكريم في القضية الواحدة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[5] أي: إلى الطريقة التي هي أصوب. وقيل: إلى الكلمة التي هي أعدل وهي شهادة أن لا إله إلا الله، ﴿وَيُبَشِّرُ﴾ يعني: القرآن[6].

ودور التفسير الموضوعي في فهم النص القرآن الكريم يساعد الباحث على فهم قضية من القضايا التي تتعلق بالحياة، ثم يعرضها عرضا جيدا يتناسب مع روح العصر، ثم استنتاج

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

(٢) المرجع السابق، مباحث في تفسير الموضوعي (٣٠).

(٣) المرجع السابق (٣١).

(٤) المرجع السابق (٣١).

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٩ .

(٦) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، معالم التنزيل، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، ط٤، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م، (٥ / ٨٠).

النتائج التي تفيد الأمة وتعطي أحكاما واضحة لبعض القضايا التي لا تتضح لكثير من الناس، لأنه لا يجوز شرعا أو عقلا إصدار حكم في أي قضية من القضايا إلا بعد جمع كل ما ورد حول هذه القضية من نصوص، ثم دراستها دراسة جيدة، ومعرفة المراد منها، ومن ثم إصدار الحكم بعد ذلك، ليكون ردا مفحما لتلك الجحافل الجرارة من الأفكار والمباديء التي غزت المجتمعات الإسلامية، وتُدَرّس في مدارسها، مثل: نظريات دروين، ودوركيم، وماركس، لينين وغيرهم من أعداء الملة والإنسانية، ومن هنا يأتي دور التفسير الموضوعي الذي يقوم الحلول عليها، وهنا تتضح أهميته وحاجته الملحة ليخرج الناس من الظلمات إلى النور والهداية.

فإبراز مثل هذه الحقائق القرآنية الثابتة فيها رد لهذه النظريات التافهة المتهالكة، التي تتساقط أمام عظمة القرآن الكريم واحدة تلو الأخرى، والقرآن الكريم بنظرياته وحقائقه الصائبة صامد وسيبقى منارا للعلم وهداية للبشرية، كل هذا فيه توضيح لرسالة القرآن الكريم، وكانت هذه نظرة السلف تجاه كتاب الله الكريم.

المبحث الثاني: التوبة ومكانتها عند الله عز وجل.

المطلب الأول: صلة التوبة بأسماء الله تعالى الحسنى.

التوبة مع صفة الرحمة: إن للتوبة صلة وارتباط وثيق بأسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العليا، فالله عز وجل أضفى على التوبة شرف ارتباطها بأسمائه الحسنى على سبيل بيان رحمته ومنته وفضله وإحسانه وعلى سبيل ثنائه على نفسه جل وعلا. فحينما ذكر جل وعلا في كتابه العزيز أنه يقبل التوبة عن عباده ويرحمهم، ذكر وربط قبول التوبة والرحمة باسمين من أسمائه قال تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[1].

قال الطبري- رحمه الله -: أن الله جل ثناؤه هو التوّاب على من تاب إليه - من عباده المذنبين - من ذنوبه، التارك مجازاته بإنابته إلى طاعته بعد معصيته بما سلف من ذنبه[2]. ﴿الرَّحِيمُ﴾، فإنه يعني أنه المتفضل عليه مع التوبة بالرحمة. ورحمته إياه، إقالة عثرته، وصفحه عن عقوبة جُرمه[3].

ولا شك أن الشيء إذا كان مرتبطاً بأسماء الله سبحانه وتعالى فهو في أعظم الشرف والعلو والسمو، وحينما يقول يقبل التوبة عن عباده في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[4]. بيان أنه تعالى بالتوبة يعفو عنهم ويغفر ذنوبهم لأنه هو العفو الغفور.

التوبة مع المغفرة والمودة: هناك صلة واضحة للتوبة مع صفتي المغفرة المودة فالله تعالى يقول: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾[5]،

أي: يغفر ذنب من تاب إليه وخَضَع لديه، ولو كان الذنب من أي شيء كان. والودود- قال ابن عباس-رحمه الله-[6]:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٧.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن (الطبري) (١ / ٥٤٧).

(٣) المرجع السابق (الطبري) (١/ ٥٤٨).

(٤) سورة البقرة، الآية: ٣٧.

(٥) سورة البروج، الآية: ١٤.

(٦) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ﷺ، ابن عم النبي محمد ﷺ، حبر الأمة وفقيهها وإمام التفسير، ولد ببني هاشم قبل عام الهجرة بثلاث سنين، وكان النبي ﷺ دائم الدعاء له كدعائه له أن يملأ الله جوفه علما وأن يجعله صالحا. ودعاله وهو طفل يربّت على كتفه قائلا: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل". صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر) كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء (٦٦/١)، الحديث رقم (١٤٣).

وغيره-: هو الحبيب[1]: يتودد إلى العباد ويتحبب إليهم. قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ الذي يغفر الذنوب جميعها لمن تاب، ويعفو عن السيئات لمن استغفره وأناب.

قوله تعالى: ﴿الْوَدُودُ﴾ الذي يحبه أحبابه محبة لا يشبهها شيء فكما أنه لا يشابهه شيء في صفات الجلال والجمال، والمعاني والأفعال، فمحبته في قلوب خواص خلقه، التابعة لذلك، لا يشبهها شيء من أنواع المحاب، ولهذا كانت محبته أصل العبودية، وهي المحبة التي تتقدم جميع المحاب وتغلبها، وإن لم يكن غيرها تبعًا لها، كانت عذابًا على أهلها، وهو تعالى الودود، الواد لأحبابه، كما قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[2] والمودة هي المحبة الصافية، وفي هذا سر لطيف، حيث قرن ﴿الْوَدُودُ﴾ بالغفور، ليدل ذلك على أن أهل الذنوب إذا تابوا إلى الله وأنابوا، غفر لهم ذنوبهم وأحبهم. فلله الحمد والثناء، وصفو الوداد، ما أعظم بره، وأكثر خيره، وأغزر إحسانه، وأوسع امتنانه[3].

ولهذا ترى أن القرآن الكريم كلما أرشد إلى التوبة والاستغفار ذكر معهما هذه الأسماء الحسنى على سبيل المنة وعلى سبيل الثناء على نفسه - عز وجل - وكفى بذلك للتوبة شرفا ومكانة، قال عزوجل في توبة آدم عليه السلام: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[4]، لأن توبة الله تعالى على العبد تسبقه توبة منه إلى ربه، فالتوفيق إلى التوبة ليس لنا يد فيه وإنما محض فضل من الله - سبحانه وتعالى-، ثم تاب عليهم ليتوبوا

=توفي رسول الله محمد ﷺ وعمر ابن عباس رضي الله عنه لا يتجاوز ثلاث عشرة سنة، وقد روي له ١٦٦٠ حديثا. كان عبد الله بن عباس مقدما عند عثمان بن عفان، وأبو بكر الصديق- رضي الله عنهما، ثم جعله علي بن أبي طالب رضي الله عنه واليا على البصرة. توفي حَبر هذه الأمة الصحابي عبد الله بن عباس رضي الله عنه سنة ٦٨ هـ بالطائف. انظر ابن الأثير: علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري أبو الحسن عز الدين ابن الأثير (المتوفى ٦٣٠هـ). أسد الغابة في معرفة الصحابة، المحقق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (١٤١٥هـ- ١٩٩٤م)، (٣/ ٢٩١).

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٧٢).

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٣) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى : ١٣٧٦هـ) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المشهور بتفسير السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، (١ / ٩١٨).

(٤) سورة البقرة، الآية: ٣٧.

فسبقت توبته توبتهم فهي محض التوفيق وفضل وتيسير لخير من الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[1]. فالله هو الذي لقنه هذه الدعوات كي يستجيب حين يسأله بها ثم قال: ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

فأثنى على نفسه بهاتين الصفتين العظيمتين وأخبر عن منته وفضله وإحسانه، وذكر هذين الاسمين الجليلين أيضا في سياق الترغيب في التوبة، في قوله تعالى: ﴿أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

قال ابن كثير: هذا من كرمه تعالى وجوده ولطفه ورحمته بخلقه، مع هذا الذنب العظيم وهذا الافتراء والكذب والإفك، يدعوهم إلى التوبة والمغفرة، فكل من تاب إليه تاب عليه[3]، فذكر التوبة والاستغفار وربطهما بهاتين الصفتين العظيمتين، ومبينا فضله وكرمه وإحسانه ومثنيا على نفسه بهما والله هو الغفور الرحيم. وأخبر سبحانه وتعالى عن تفرده وحده بذلك، أن صفة المغفرة لا يملكها أحد إطلاقا إلا الله عز وجل كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[4]، يعني لا أحد يغفر الذنوب ويزيل عقاب عقوبتها سوى الله سبحانه وتعالى، لأنه هو الغفور الرحيم.

وقال الخازن-رحمه الله-[5] في تفسير هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ وصف نفسه بسعة الرحمة وقرب المغفرة وأن التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له، وأنه لا مفزع للمذنبين إلاّ إلى فضله وكرمه وإحسانه وعفوه ورحمته، وفيه تنبيه على أن العبد لا يطلب المغفرة إلاّ منه، وأنه القادر على عقاب المذنب، وكذلك هو القادر على إزالة ذلك العقاب عنه فثبت أنه لا يجوز طلب المغفرة إلاّ منه[6].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٧.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٤.

(٣) تفسير ابن كثير (٣ / ١٥٨).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.

(٥) علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن ، المعروف بالخازن (المتوفى : ٧٤١هـ)

(٦) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، المشهور بتفسير الخازن -، عدد الأجزاء / ٧، دار النشر: دار الفكر - بيروت / لبنان -١٣٩٩ هـ /١٩٧٩ م، (١ / ٤٢٢).

وقال الله تعالى: حكاية عن شعيب عليه السلام إذ يقول لقومه: ﴿وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾[1].

يقول تعالى ذكره، مخبرًا عن قيل شعيب عليه السلام لقومه: ﴿وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾، أيها القوم من ذنوبكم بينكم وبين ربكم التي أنتم عليها مقيمون، من عبادة الآلهة والأصنام، وبَخْس الناس حقوقهم في المكاييل والموازين ﴿وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ﴾[2]، يقول: ثم ارجعوا إلى طاعته والانتهاء إلى أمره ونهيه ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾، يقول: هو رحيم بمن تاب وأناب إليه أن يعذبه بعد التوبة. ﴿وَدُودٌ﴾، يقول: ذو محبة لمن أناب وتاب إليه، يودُّه ويحبُّه[3].

وقال جل وعز حكاية على إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - في دعائهما: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[4].

---

(١) سورة هود، الآية: ٩٠.

(٢) سورة هود، الآية: ٩٠.

(٣) تفسير الطبري (١٥ / ٤٥٦).

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٢٨.

المطلب الثاني: أهمية التوبة ومكانتها في حياة المسلم.

كثرت الآيات القرآنية الشريفة الواردة بشأن التوبة، والتي تحث عليها وترشد إليها، وترغب فيها وتبين ثمراتها كثيرة جداً، وقد استمر نزول تلك الآيات طيلة فترة الرسالة، شأنها في ذلك شأن آيات العقيدة التي استمر نزولها طيلة عهد الرسالة، لأهميتها وضرورتها لبني آدم، حتى لقد جاء ذكر التوبة والإنابة والأوب أي الرجوع إلى الله تعالى في أكثر من مائة موضع في القرآن الكريم، وجاء ذكر الاستغفار والدعوة إليه وبيانه ثمرته في أكثر من مائة وعشرين موضع، وهذا يدلك على المترلة العظمى للتوبة والاستغفار وأهميتهما.

الآيات التي وردت في ذكر التوبة مخاطب بها مختلف أصناف البشر فهي موجهة لجميع الخلق لاتستثني أحدا، فهناك آيات خوطب بها اليهود، وآيات خوطب بها النصارى، والمشركون والمنافقون وجميع الناس؛ ليتوبوا إلى الله وأمروا بها بالتوبة. فلا غنى لأحد من بني آدم عن التوبة، فالكافر يخاطب بالتوبة ليتوب من كفره ويسلم. ويخاطب أصحاب الكبائر ليتوبوا من ذنوبهم ويتطهروا منها، وتخاطب المؤمن ليتوب توبة نصوحا من الذنوب جميعا، فلا يوجد في البشر من لم يخاطبه الله – عزوجل – بالتوبة.

ومما يدل على عظمة التوبة ومترلتها وفضلها وأهميتها أنها جعلت:

سببا كبيرا لحصول النعم ودفع النقم، نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى ربط بالتوبة سنتين عظيمتين من سننه فجعل التوبة والاستغفار سببا لنعمه وفضله وإحسانه في الدنيا إضافة إلى الآخرة، وجعل ترك التوبة والاستغفار منهما سببا لنزول المصائب والبلاء في الدنيا إضافة إلى الآخرة.

هاتان سنتان عظيمتان من سنن الله تعالى جاريتان في عباده أفرادا وجماعات، حري ببني آدم التنبه إليهما.

تأمل قوله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ. أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ. وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾[1]، وقوله: ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى

(١) سورة هود، الآية: ١-٣.

أَجَلٍ مُسَمًّى﴾، يقول تعالى ذكره للمشركين الذين خاطبهم بهذه الآيات: استغفروا ربكم ثم توبوا إليه، فإنكم إذا فعلتم ذلك بسط عليكم من الدنيا ورزقكم من زينتها، وأنسأ لكم في آجالكم إلى الوقت الذي قضى فيه عليكم الموت[1].

وقال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام وهو يخاطب قومه بالتوبة ويبين فضلها: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا. يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا. وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا. مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا. وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾[2].

وقال تعالى حكاية عن هود عليه السلام نبي قوم عاد: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ﴾[3].

وقال الله تعالى مخاطبا لهذه الأمة وهو يخاطب نبيها محمد ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[4]، والاستغفار علامة من علامات التوبة.

والتوبة باب من أبواب الرحمة واسع، فتحه الله لعباده رحمة منه وفضلا، وتكريما وإحسانا، فهي بذلك كما قال ابن تيمية[5] – رحمه الله تعالى –: التوبة ليست نقصا بل هي من أفضل الكمالات وهي واجبة على جميع الخلق كما قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا. لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ

---

(١) الطبري، (١٥/٢٩٩-٢٣٠)

(٢) سورة نوح، الآية: ١٠- ١٤.

(٣) سورة هود، الآية: ٥٢.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

(٥) الإمام العلامة شَيْخُ الْإِسْلَامِ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ولد سنة ٦٦١هـ المتوفى: ٧٢٨هـ)، وله مؤلفات عدة أشهرها: مجموع الفتوى، العقيدة الواسطية. انظر: الفتاوى الكبرى، (ج١) في مقدمة الكتاب، المحقق: محمد عبد القادر عطا – مصطفى عبد القادر عطا، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧م.

اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[1]. فغاية كل مؤمن هي التوبة وهي مقام كريم ولا يستغني عنها أحد من البشر[2].

خطاب الله تعالى لليهود وهو يأمرهم بالتوبة، قال الله تعالى: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[3].

قال الله تعالى مخاطب للنصارى وهو يأمرهم بالتوبة: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[4]. ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ﴾ يعني من قولهم بالتثليث ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾ وهذا استفهام بمعنى الأمر أي: توبوا إلى الله واستغفروه من هذا الذنب العظيم فإنه تعالى يغفر الذنوب ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ يعني لمن استغفره وتاب إليه ﴿رَحِيمٌ﴾ به وبسائر خلقه[5].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢ – ٧٣

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، المحقق: أنور الباز – عامر الجزار، ط٣، الناشر: دار الوفاء، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥م، (٥١/١٥).

(٣) سورة المائدة، الآية : ٧١.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٧٤.

(٥) تفسير الخازن (٢ / ٣١٧).

الفصل الأول

تعريف التوبة وشروطها وأحكامها وزمانها

المبحث الأول: تعريف التوبة لغة واصطلاحا.

المطلب الأول: تعريف التوبة لغة.

المطلب الثاني: تعريف التوبة اصطلاحا.

المبحث الثاني: شروط التوبة.

المطلب الأول: شروط التوبة فيما يتعلق بحق الله.

المطلب الثاني: شروط التوبة فيما يتعلق بحقوق الناس.

المبحث الثالث: أحكام التوبة وزمانها.

المطلب الأول: حكم التوبة.

المطلب الثاني: هل قبول التوبة مؤكد ؟.

المطلب الثالث: التوبة عن بعض الذنوب دون بعض.

المطلب الرابع : العود للمعصية بعد التوبة من الذنوب.

المطلب الخامس: زمان التوبة.

الفصل الأول: تعريف التوبة وشروطها وأحكامها وزمانها.

المبحث الأول: تعريف التوبة لغة واصطلاحا.

المطلب الأول: تعريف التوبة لغة.

التوبة لغة: الرُّجُوعُ من الذَّنْبِ. وفي الحديث، (النَّدَمُ تَوْبةٌ)[1]. والتَّوْبُ مثلُه وقال الأَخفش[2]: التَّوْبُ جمع تَوْبةٍ مثل عَزْمةٍ وعَزْمٍ، عومة وعوم[3]. وتابَ إِلى اللّهِ يَتُوبُ تَوْباً وتَوْبةً ومَتاباً أي أَنابَ ورَجَعَ عن المَعْصيةِ إِلى الطاعةِ، وتابَ اللّهُ عليه وفَّقَه لَها أي للتوبة[4].

ولملاحظة الدلالة اللغوية أن كلمة التوبة تعني الأوب لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾[5].

---

(١) حديث صحيح، أخرجه ابن ماجة في السنن، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة (١٤٢٠/٢)، رقم الحديث (٤٢٥٢). والحاكم في المستدرك (٢٤٣/٤) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ. وقال البوصيري: إسناده صحيح، رجاله ثقات. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١١٥٠) رقم الحديث (٦٨٠٢).

(٢) الأخفش الأوسط هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي البصري (المتوفى سنة ٢١٥ هـ)، وعرف بالأخفش الصغير بعد أخفش الأكبر أبي الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد أحد شيوخ سيبويه، فلما ظهر الأخفش الثالث أبو الحسن على بن سليمان من تلاميذ المبرد وعرف بالأخفش الأصغر غلب على سعيد لقب ((الأخفش الأوسط)).

وقد عد السيوطي أحد عشر نحويا من الأخافش، أما لقب (الأخفش) عند إطلاقه فإنما يراد به أبو الحسن سعيد بن مسعدة ، وقد تكتفي بعض المؤلفات بذك كنيته (أبي الحسن) فقط.

وكان الأخفش الأوسط مولى لبني مجاشع بن درام من تميم، فهو مجاشعي بالولاء، وأصله من بلخ. وقد سكن البصرة، ودخل بغداد وأقام بها مدة. والأخفش أسن من شيخه سيبويه، لقد ولد قبله، ومات بعده، واحتلف في سنة وفاته، فقيل إنها سنة ٢١٠هـ و ٢١١ هـ . انظر: معاني القرآن للأخفش الأوسط (١٣/١-١٤).

(٣) الأخفش، معاني القرآن، المحقق: الدكتور فائز فارس. دار البشير و دار الأمل، (١٤٠١هـ /١٩٨١ م)، (٢/ ٤٥٩).

(٤) لسان العرب (١ / ٢٣٣).

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٢٥.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير في هذه الآية ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلأوَّابِينَ غَفُورًا﴾[1] قال: الراجعين إلى الخير[2]. ﴿فَإِنَّهُ﴾ تعالى شأنه ﴿كَانَ لِلأوَّابِينَ﴾ أي الراجعين إليه تعالى التائبين عما فرط منهم مما لا يكاد يخلو منه البشر ﴿غَفُوراً﴾ لما وقع منهم من نوع تقصير أو أذية[3].

ومن اشتقاقات كلمة التـــوبة التوب لقوله تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾[4].

و(توب) التاء والواو والباء كلمةٌ واحدةٌ تدلُّ على الرُّجوع. يقال: تابَ مِنْ ذنبه، أي رَجَعَ عنه يتوب إلى الله تَوبةً ومَتَاباً، فهو تائب، والتَّوْبُ التَّوبة[5]، فالتوبة هي: من تاب يتوب إذا رجع.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٥.

(٢) تفسير الطبري (١٧ / ٤٢٤).

(٣) الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (المتوفى: ١٢٧٠هـــ) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار النشر: إدارة الطباعة المنيرية، تصوير دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، (٦٢/١٥).

(٤) سورة غافر، الآية: ٣ .

(٥) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغه. المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ط: ١٣٩٩هـــ - ١٩٧٩م، (١ /٣٥٧).

المطلب الثاني: تعريف التوبة اصطلاحا.

ورد في تعريف التوبة اصطلاحا عدد من التعرفات نختار منها الآتي:

عرفها القرطبي بقوله: "هي الندم بالقلب، وترك المعصية في الحال، والعزم على ألا يعود إلى مثلها، وأن يكون ذلك حياء من الله"[1].

والتوبة هي: ترك الذنوب والمعاصي والندم والعزم على عدم العودة على فعلها وتدارك هفواته ما أمكنه، ورد المظالم إلى أهلها[2].

وقال الإمام ابن القيم الجوزية[3]: التوبة هي: الندم على ما سلف منه في الماضي والإقلاع عنه في الحال والعزم على أن لا يعاوده في المستقبل[4].

التوبة بمعنى: ترك سيئة والابتعاد عنها، وهو أبلغ من سترهم لأنه يستلزم بقاءها، أو هي الندم على ما كان من الفعل القبيح والعزم أنك لا تعود إلى ما كنت عليه من حال الإصرار، معنى: "الإصرار"، السكوت على الذنب وترك الاستغفار[5]. لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[6]. معنى ذلك: لم يثبتوا على ما أتوا من الذنوب و لم يقيموا عليه، ولكنهم تابوا واستغفروا، كما وصفهم الله به[7].

مما سبق نستنتج أن التوبة هي معرفة العبد لقبح الذنوب وضررها عليه، فيقلع عنها مخلصاً في إقلاعه عن الذنب لله تعالى، نادماً على ما بدر منه في الماضي من المعاصي قصداً

---

(١) انظر القرطبي، (٨٥/٥).

(٢) سليمان الصادق البيرة، من معالم الهدي القرآن في التوبة، مكة المكرمة (ص ٢١)

(٣) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز بن مكي زيد الدين الزُّرعي (ابن قيم الجوزية) ولد سنة (٦٩١ هـ وتوفي سنة ٧٥١ هـ) الموافق (١٢٩٢م -١٣٤٩م) من كبار علماء الدين الإسلامي في القرن الثامن الهجري. ولد في دمشق ودرس على يد ابن تيمية الدمشقي وتأثر به. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني سنة الولادة (١٢/شعبان/٧٧٣هـ/ سنة الوفاة ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م)، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، عدد الأجزاء ٦، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، سنة النشر ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، (١٣٧/٥).

(٤) مدارج السالكين (١ /١٨٢).

(٥) تفسير الطبري (٧ /٢٢٤).

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.

(٧) تفسير الطبري (٧ / (٢٢٣).

أو جهلاً، عازماً عزماً أكيداً على عدم العودة إليها في المستقبل، والقيام بفعل الطاعات والحسنات، متحللاً من حقوق العباد بردها إليهم، أو محصلاً البراءة منهم.

المبحث الثاني: شروط التوبة.

إنَّ الإنسان بطبيعته مخلوقٌ ضعيف، يرتكب الأخطاء، ويقع في المحظورات، ويقترف المعاصي، وذلك نتيجةَ الغفلة التي تستوْلي على قلبه، فتحجب بصيرتَه، ويُزيِّن له الشيطان سُبلَ الضلال، فيقع فيما حرَّمه الله عليه، ومهما بلغ الإنسانُ من التقوى والصلاح، فإنَّه لا يَسْلم من الوقوع في الأخطاء، فيجب عليه التوبة النصوح، ولا يتم إلا بشروطها.

المطلب الأول: شروط التوبة فيما يتعلق بحق الله.

كلمة التوبة كلمة عظيمة، لها مدلولات عميقة، لا كما يظنها كثيرون، ألفاظ باللسان ثم الاستمرار على الذنب، تأمل قوله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾[1]. تجد أن التوبة هي أمر زائد على الاستغفار[2].

أما شروط التوبة فهي التي لا بد منها لقبول التوبة عند الله تعالى، وهي كما يأتي:

أحدها: الإقلاع عن المعصية.

والثاني: الندم على فعلها.

والثالث: العزم أن لا يعود إليها أبداً، فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته[3].

فالشرط الأول: الإقلاع عن المعصية أي تركها فيجب على شارب الخمر مثلا أن يترك شرب الخمر لتقبل توبته من تلك المعصية، والعاصي يجب عليه أن يترك المعصية لتقبل توبته.

أما الشرط الثاني: الندم على فعلها، فقد قال الرسول ﷺ: «الندم توبة»[4].

---

(١) سورة هود، الآية: ٣.

(٢) الطهطاوي، الشيخ علي أحمد عبد العال الطهطاوي، منهاج الأبرار في شرح كتاب التوبة والاستفار لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط١، ، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ١٤٢٥هـ ـــ ٢٠٠٤ م، (٩).

(٣) ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ سورة الفتح، الآية: ١٥. تحقيق: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ، (٤٧١/١٣).

(٤) سبق تخريجه في صفحة (٢٧).

وفي ذلك بيان واضح أنه لا بد في صحة التوبة من الندم[1]، وهو ندم باللسان والفعل والحال، وليس هو مجرد ترديد ألفاظ الندم باللسان، وتَصنُّعَ ذلك أمام الناس[2]. قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[3]. التائب إلى الله تعالى عن الذنب ويعوض ما فاته بأعمال صالحة، ويُبدِّلهم الله بقبائح أعمالهم في الشِّرك محاسن الأعمال في الإسلام، بالشِّرك إيماناً، وبالزِّنا عفَّة وإحصاناً، وبقتل المؤمنين قتل المشركين[4].

وأما الشرط الثالث: العزم[5] الصادق على أن لا يعود لمثلها أي أن يعزم في قلبه على أن لا يعود لمثل المعصية التي يريد، يتوب منها، فإن عزم على ذلك وتاب لكن نفسه غلبته بعد ذلك فعاد إلى نفس المعصية فإنه تكتب عليه هذه المعصية الجديدة، أما المعصية القديمة التي تاب عنها توبة صحيحة فلا تكتب عليه من جديد.

وإن كانت المعصية تتعلق بحق إنسان – فسيأتي بيانه في المبحث الثاني –.

وأما حقوق الإنسان بينه وبين الله كتأخير الصلاة عن أوقاتها أو تركها أصلاً، أو أفطار في شهر رمضان بدون عذر شرعي، هكذا التفريط في تأدية الزكاة، والحج، وما إلى ذلك من الطاعات التي هي عبادات لله وحده .

فالمؤمن مطالب بعد تصحيح التوبة بشروطها أن يجتهد في قضاء ما فات من عبادات وأن يكثر من الاستغفار والنوافل، والإكثار من عمل الخير، لعل ذلك يكفر أخطـــاء

---

(١) نَدِمَ على الشيء، ونَدِمَ على ما فعل نَدَماً ونَدامةً وتَنَدَّمَ: أَسِفَ. (لسان العرب، ج ١٢/ص٥٧٣). الندم هو غم يصيب الإنسان ويتمنى أن ما وقع منه لم يقع. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط١، ١٤٠٥، ت إبراهيم الأبياري، (ج١/ص٣٠٨).

(٢) من معالم الهدي القرآني في التوبة (٢٥).

(٣) سورة الفرقان، الآية: (٧٠).

(٤) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦هـــ) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (١ /٦١٣).

(٥) العَزْمُ الجِدُّ عَزَمَ على الأَمر يَعْزِمُ عَزْماً ومَعْزَماً ومَعْزِماً وعُزْماً وعَزِيماً وعَزِيمةً وعَزْمَةً واعْتَزَمَه واعْتَزَمَ عليه أَراد فِعْلَه وقال الليث العَزْمُ ما عَقَد عليه قَلْبُك من أَمْرٍ أَنَّكَ فاعِلُه. (لسان العرب، ج١٢/٣٩٩).

الماضي والتقصير في جنب الله تعالى لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾[1]. يقول ابن كثير: إن فعل الخيرات يكفر الذنوب السالفة[2].

وقول الرسول ﷺ: "اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن"[3].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "كل بني آدم خطاء و خير الخطائين التوابون"[4]. ويكفي الإنسان أن يعلم أن التوبة ترضي الله سبحانه وتعالى، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "إن الله عز وجل أفرح بتوبة أحدكم منه بضالته إذا وجدها"[5].

الشرط الرابع: ويشترط أن تكون التوبة قبل الغرغرة، والغرغرة هي بلوغ الروح الحلقوم، فإذا وصلت الروح من العبد إلى حد الغرغرة لا تقبل منه التوبة، فقد ورد في الحديث الشريف: عن ابن عمر[6]– رضي الله عنهما– عن النبي ﷺ قال: "إن الله تبارك وتعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر"[7].

---

(١) سورة هود، الآية: ١١٤.

(٢) تفسير ابن كثير (٣٥٥/٤).

(٣) الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، (المتوفى : ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، باب ما جاء في معاشرة الناس، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، (٣٥٥/٤)، رقم الحديث (١٩٨٧).

(٤) ابن ماجه، سبق تخريجه في (ص٢).

(٥) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، (١٤١٩/٢)، رقم الحديث (٤٢٤٧).

(٦) عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوى، أمه زينب بنت مظعون الجمحية ولد سنة ثلاث من المبعث النبوي فيما جزم به الزبير بن بكار قال هاجر وهو بن عشر سنين، وكذا قال الواقدي حيث قال: مات سنة أربع وثمانين، وله سبع وثمانون سنة. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة – أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: علي محمد البجاوي، عدد الأجزاء: ٨، ط١، الناشر: دار الجيل – بيروت، ١٤١٢ هـ، (٤ / ١٨١).

(٧) سنن الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب فضل التوبة والاستغفار، (٥٤٧/٥) رقم الحديث (٣٥٣٧). تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

وابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى : ٣٥٤هـ)، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، كتاب الرقائق، باب التوبة، ذكر تفضل الله جل وعلا على التائب

الشرط الخامس: ويشترط أيضا أن تكون قبل أن تقع عليه المشقة، فلا تقبل توبة لمن أدركه الغرق مثلا كما حصل مع فرعون لعنه الله. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾[1]. وكقوله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[2]. وقال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[3]. ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ يعني: المعاصي ﴿حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ ووقع في الترع، ﴿قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ﴾ وهي حالة السَّوق حين تُساق روحه، لا يُقبل من كافر إيمانٌ ولا من عاص توبة، قال الله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾[4]، ولذلك لم ينفع إيمان فرعون حين أدركه الغرق.

قوله تعالى ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا﴾ أي: هيأنا وأعددنا، ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[5].

=بقبول توبته كلما أناب ما م يغرغر حالة المنية به، (٢/٣٩٥) رقم الحديث (٦٢٨)، ترتيب: علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي، المنعوت بالأمير (المتوفى : ٧٣٩هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة.

(١) سورة البقرة، الآية: ٥٠ .

(٢) سورة يونس، الآية: ٩٠، ٩١.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٨.

(٤) سورة غافر، الآية: ٨٥ .

(٥) تفسير البغوي (٢ /١٨٥).

المطلب الثاني: شروط التوبة فيما يتعلق بحقوق الناس.

ومن الشروط الزائدة على ما سبق من الشروط فيما يتعلق بحقوق الناس يمكن تقسيمها إلى أقسام ثلاث:

أ- الحقوق المادية وهذه لا بد من إرجاعها إلى أصحابها أو استحلالها منهم بعد إعلامهم بها، ويكون شرط زائد من شروط التوبة،كما قال ابن تيمية – رحمه الله –: إرجاع حقوق من ظلمهم، أو طلب البراءة منهم[1]. قال النبي ﷺ: "من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها فإنه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه"[2]، والإعلام في الحق المالي محل اتفاق لتسامح الناس في الماديات لأن المكارمة فيها شائعة.

ب- الحقوق المعنوية، قد تكون هذه الحقوق حقوقا معنوية كالقدح في عرض أحد، أو الكذب عليه وتقويله مالم يقل، وقد اختلف الفقهاء في ضرورة إعلامه بنوع المخالفة والعدوان لاستحلاله منه، والمعروف في مذهب الشافعي[3]، وأبي حنيفة[4]، ومالك[5]،

---

(١) منهاج الأبرار في شرح كتاب التوبة والاستغفار لشيخ الإسلام ابن تيمية، (٩).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب القصص يوم القيامة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق، ط٢، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م، (٥ / ٢٣٩٤) رقم الحديث (٦١٦٩).

(٣) محمد بن إدريس بن العباس أبو عبد الله الشافعي الامام زين الفقهاء وتاج العلماء ولد بغزة من بلاد الشام سنة ١٥٠هـ، ثم حمل إلى مكة بعد فطمه، فيها نشأ وتلقى العلم، وتوفي في مصر سنة ٢٠٤ هـ عن أربع وخمسين سنة. وله كتب منها: كتاب الرسالة والأم. انظر: تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت (٢ / ٥٦)، وتهذيب التهذيب، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، (١/٣١٤).

(٤) أبو حنيفة، هي الكنية التي اشتهر بها، أما اسمه هو النعمان بن ثابت أبو حنيفة التيمي إمام أصحاب الرأي وفقيه أهل العراق، وهو تابعي لأنه رأى من الصحابة أنس بن مالك، وتوفي سنة (١٥٠هـ) بغداد وسنه سبعون عاما. انظر: تاريخ بغداد (١٣ / ٣٢٣)، وكتاب الوفيات، أبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب، سنة الولادة ٧٤٠هـ/ سنة الوفاة ١٢/ربيع الأول/ ٨٠٩هـ، تحقيق: عادل نويهض، الناشر: دار الإقامة الجديدة بيروت، ١٩٧٨م، (١/١٣٠).

(٥) مالك ابن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن عثمان بن جثيل ابن عمرو بن الحارث وهو ذو أصبح الأصبحي الحميري أبو عبد الله المدني الفقيه أحد أعلام الإسلام إمام دار الهجرة. ولد الإمام مالك سنة ٩٣هـ، وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وسبعين ومائة وسنه يقرب من تسعين سنة وأخذ عنه العلم مدة تقرب من

اشتراط الإعلام والتحلل، هكذا ذكره أصحابهم في كتبهم والذين اشترطوا ذلك احتجوا بأن الذنب حق آدمي: فلا يسقط إلا بإحلاله منه وإبرائه ثم من لم يصحح البراءة من الحق المجهول شرط إعلامه بعينه لا سيما إذا كان من عليه الحق عارفا بقدره فلا بد من إعلام مستحقه به لأنه قد لا تسمح نفسه بالإبراء منه إذا عرف قدره واحتجوا بالحديث المذكور سابقا وهو قوله: "من كان لأخيه عنده مظلمة من مال أو عرض فليتحلله اليوم" قالوا: ولأن فى هذه الجناية حقين: حقا لله وحقا للآدمي، فالتوبة منها بتحلل الآدمي لأجل حقه والندم فيما بينه وبين الله لأجل حقه. والرأي الثاني لأحمد وهو اختيار ابن تيمية لا يشتطر إعلامه لأن ذلك يؤدي إلى عداء يجر إلى مفاسد أكثر. والفرق بين الحقوق المالية وبين هذه أن المالية انتفاع بخلاف هذه[1]. فإرجاع حقوق الآدميين المادية أو استحلالهم منها شرط في صحة التوبة. وغير المادية يكفي الندم والاستغفار وعدم العودة وفقا لاختيار ابن تيمية وهو وجيه، مع الدعاء والاستغفار لمن أســـأت إليه، وهذا ما ترتاح إليه النفس.

ج –حقوق للآخرين وليست من قبيل النوعين السابقين، وذلك كحق قصاص لأحد من الناس.

فالتوبة الكاملة من جريمة القتل وهي التوبة بشروطها وتسليم نفسه للدولة للقصاص منه أو تنازل ولي الدم عن ذلك الحق وأخذ الدية بدلاً من القصاص. فلو حصلت منه التوبة بشروطها و لم يسلم نفسه للقصاص صحت توبته، وبقي عاصياً بعدم تسليم نفسه للقصاص وهذه معصية مستقلة تتعلق بحق آدمي تحتاج لتوبة خاصة بها[2].

فالعاصي إذن إن كان عنده حقوق للناس، أموال أو دماء أو أعراض فعليه إن يؤديها إليهم، هذا أمر لازم من تمام التوبة كما بينت، وعليه أن يؤدي الحقوق التي للناس إن كان قصاصاً فيمكن من القصاص من نفسه إلا أن يسمحوا بالدية، وإن كان مالاً يرد إليهم أموالهم، إلا أن يسمحوا، وإن كان عرضاً يستسمحهم بشرط أن يترتب عليه

=سبعين سنة رحمه الله ورضي عنه، وله مؤلفات عدة أشهارها كتاب (الموطأ). انظر: الوفيات (١ / ١٤١)، وتهذيب التهذيب – (١٠ / ٥).

(١) مدارج السالكين (١ /٢٩١).

(٢) إمام الحرمين الجويني، الإرشاد، المحقق: الدكتور محمد يوسف موسى، الناشر: الخانجي بمصر، (٤٠٤– ٤٠٥).

مفسدة، وإن كان استسماحهم قد يفضي إلى شر فلا مانع من تركه، ولكن يدعو لهم ويستغفرلهم، ويذكرهم بالخير الذي يعلمه منهم في الأماكن التي ذكرهم فيها بالسوء، ويكون هذا كفارة لهذا، وعليه سرعة التوبة قبل الموت، قبل أن ينـــزل به الأجل، وعليه البدار، والمسارعة، ثم الصبر والصدق، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1]. ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ﴾ ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين[2]. يعني لم يقيموا على المعاصي، بل تابوا وندموا وتركوا، ولم يصرّوا على ما فعلوا، وهم يعلمون، وقال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي: تابوا من ذنوبهم، ورجعوا إلى الله عن قريب، ولم يستمروا على المعصية ويصروا عليها غير مقْلِعين عنها، ولو تكرر منهم الذنب تابوا عنه[3]، وقال جل جلاله: ﴿أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[4]. وهذا جزاء عظيم جعله الله للتائبين تحفيزا وترغيبا.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.

(٢) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، (١ / ٤٤٤).

(٣) تفسير ابن كثير (٢ / ١٢٥).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٣٦.

المبحث الثالث: أحكام التوبة وزمانها.

وفي هذا المبحث فيه خمسة مطالب.

المطلب الأول: حكم التوبة.

التوبة من الذنوب واجبة على كل مكلف سواء في ذلك الذكر والأنثى طالما كان الشخص في حالة تجعله مكلفا شرعا. والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]. قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلكم تسعدون في الدنيا والآخرة[2].

وزاد القرطبي[3]: وتوبوا إلى الله فإنكم لا تخلون من سهو وتقصير في أداء حقوق الله تعالى، فلا تتركوا التوبة في كل حال[4]، وعلى هذا اتفقت الأمة على أن التوبة فرض على كل المؤمنين والمؤمنات جميعاً[5]. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾[6]. فأمر بالتَّوبة، وهي فرض على الأعيان في كُلِّ الأحوال، وكُلِّ الأزمان.

واختلفوا في التوبة النَّصُوح، فقيل هي التي لا عودة بعدها، كما لا يعود اللبن إلى الضرع[7].

فالأمر بالتوبة جاء مقرونا بوصف المخاطبين بالإيمان تحفيزا لهم على المبادرة إليها.

---

(١) سورة النور، الآية: ٣١ .

(٢) أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، تفسير اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، عدد الأجزاء / ٢٠، ط١، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م، (٣٦٢/١٤).

(٣) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي المالكي أبو عبد الله القرطبي مصنف التفسير المشهور الذي سارت به الركبان وفي أسامي الكتب وكان تفسيره المذكور مسمى بجامع أحكام القرآن وهو كتاب من أجل الكتب في سفرين توفي سنة إحدى وثلاثين وستمائة، انظر: طبقات المفسرين - الأدنروي - أحمد بن محمد الأدنروي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، ط١، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ١٩٩٧م، (١ / ٢٤٦).

(٤) تفسير القرطبي (١٢ /٢٣٨).

(٥) تفسير القرطبي (٥ /٩٠).

(٦) سورة التحريم، الآية: ٨.

(٧) اللباب في علوم الكتاب (٢١٠/١٩).

وأظهر القرآن المستمرين في المعاصي بالظلم والعدوان، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[1].

وهي في نظر أهل السنة واجبة بالشرع وحده لأن الأحكام الشرعية لا تثبت بالعقل وحده[2]، وهي واجبة على الفور فإن أخره كان عاصيا بالتأخير ووجبت عليه التوبة على تأخيرها.

ولإمكان أن يكون الإنسان قد ارتكب أخطاء لا يتذكرها يجب عليه توبة عامة تشمل ما علم وما لم يعلم، وقد جاء في صحيح البخاري: عن أبى بكر الصديق[3]رضي الله عنه، أن النبى ﷺ قال: "الشرك أخفى فيكم من دبيب النمل. فقلت: يا رسول الله فكيف المنجا من ذلك ؟ قال: ألا أعلمك شيئًا إذا فعلته برئت من قليله وكثيره وصغيره وكبيره. قلت: بلى يا رسول الله. قال: قل: اللهم إنى أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم، تقولها ثلاث مرات"[4].

وفي الصحيح عنه ﷺ: إنه كان يدعو في صلاته: "اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أسرفت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت"، وفي رواية له وإذا سلم قال: "اللهم اغفر لي ما قدمت.." إلخ[5].

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١١.

(٢) كتاب الإرشاد (٤٠٤).

(٣) عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي التميمي أبو بكر الصديق بن أبي قحافة خليفة رسول الله ﷺ أمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر ابنة عم أبيه ولد بعد الفيل بسنتين وستة أشهر، فكان النبي ﷺ أكبر وصحب النبي ﷺ قبل البعثة وسبق إلى الإيمان به واستمر معه طول إقامته بمكة ورافقه في الهجرة وفي الغار وفي المشاهد كلها إلى أن مات وكانت الراية معه يوم تبوك وحج في الناس في حياة رسول الله ﷺ سنة تسع واستقر خليفة في الأرض بعده ولقبه المسلمون خليفة رسول الله، وكانت وفاته يوم الاثنين في جمادى الأولى سنة ثلاث عشر من الهجرة وهو بن ثلاث وستين سنة. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة – (٤ / ١٦٩).

(٤) شرح صحيح البخارى – لابن بطال – كتاب الدعاء، باب الدعاء إذا انتبه بالليل، (١٠ / ٨٧) رقم الحديث (١٣)، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط٢، مكتبة الرشد – السعودية / الرياض – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري – ابن حجر –: كتاب الدعوات، باب قول النبي ﷺ (١١ / ١٩٨).

المطلب الثاني: هل قبول التوبة مؤكد ؟.

اختلف العلماء في الإجابة عن هذا السؤال اختلافا واسعا ويمكن إجمال ذلك فيما يلي:

أ ـــ يرى المعتزلة أن قبول التوبة واجب عقلا لأن ذلك أصلح للعبد وأدل على عدل الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾[1].

قال الزمخشري[2] عند هذه الآية: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ معرفتان؛ لأنه لم يرد بهما حدوث الفعلين، وأنه يغفر الذنب ويقبل التوب الآن. أو غداً حتى يكونا في تقدير الانفصال، فتكون إضافتهما غير حقيقية؛ وإنما أريد ثبوت ذلك ودوامه، فكان حكمهما حكم إله الخلق ورب العرش[3].

واحتج أصحابنا (الشافعية) بأنه تعالى ذكر كونه قابلاً للتوب على سبيل المدح والثناء، ولو كان ذلك من الواجبات لم يبق فيه من معنى المدح إلا القليل، وهو القدر الذي يحصل لجميع الصالحين عند أداء الواجبات والاحتراز عن المحظورات[4]. وانطلاقا من مبدأ وجوب الأصلح فسروا الآيات والأحاديث بما يؤكد قبول توبة التائبين.

ب ـــ يرى أهل السنة أن العقل لا يوجب التوبة لأن الله تعالى لايجب عليه شيء، فالله تعالى حر الإرادة والاختيار فهو فعال لما يريد، تفضُّلاً لا وجوب عليه بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾[5]. قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ روي أن النبي ﷺ تلا:

---

(١) سورة غافر، الآية: ٣.

(٢) أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي، الزمخشري (ولد في رجب ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م - ومات ليلة عرفة ٥٣٨ هـ / ١١٤٣م) علامة فارسي، من أئمة المعتزلة، اشتهر بكتابيه "الكشاف" و"أساس البلاغة". قال عنه السمعاني: "برع في الآداب، وصنف التصانيف، وَرَدَ العراق وخراسان، ما دخل بلدا إلا واجتمعوا عليه، وتتلمذوا له، وكان علامة نسابة"، اشتهر بلقب جار الله، انظر: طبقات المفسرين، (عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي)، تحقيق: علي محمد عمر، ط١، الناشر: مكتبة وهبة – القاهرة، ١٣٩٦هـ، (١٠٤/١).

(٣) الكشاف (٤ / ١٥٢) .

(٤) الرازي، محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي أبو عبد الله فخر الدين ولد بالري من أعمال فارس. تفسير الفخر الرازى، دار النشر، دار إحياء التراث العربى، (٤٩٦/٢٧).

(٥) سورة النساء، الآية: ٤٨ .

﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾[1] فقال له رجل: يا رسول الله والشرك ! فنزل ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[2]. وهذا من المحكم المتفق عليه الذي لا اختلاف فيه بين الأمة. قال الله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ من المتشابه الذي قد تكلم العلماء فيه[3]. فالمشرك لا ترجى له المغفرة، لأن الله نفى عنه المغفرة، وما سواه من الذنوب في مشيئة الله، إن شاء الله غفر له، وإن شاء عذبه[4].

وقال محمد بن جرير الطبري: قد أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله تعالى إن شاء عفا عنه ذنبه، وإن شاء عاقبه عليه ما لم تكن كبيرته شركا بالله تعالى[5]. وقال بعضهم: قد بين الله تعالى ذلك بقول: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾[6]، فاعلم أنه يشاء أن يغفر الصغائر لمن اجتنب الكبائر ولا يغفرها لمن أتى الكبائر[7].

ج ــ فريق ثالث يمثله الإمام الغزالي- رحمه الله-[8]وهو من كبار علماء أهل السنة وقد قال ما ملخصه: إذا فهمت معنى القبول لم تشك أن كل توبة صحيحة مقبولة، وإنما

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٢) ذكر سبب النزول هذا الطبري في تفسيره (٨ / ٤٤٩).

(٣) تفسير القرطبي (٥ / ٢٤٥).

(٤) صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية: ١٤١٨هـ، (٢ / ٢٦٦).

(٥) تفسير الطبري (٨/٤٥٠).

(٦) سورة النساء، الآية: ٣١.

(٧) تفسير القرطبي (٥/٢١٧) وهذا القول في رأي معارض بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ سورة الزمر، الآية: ٥٣، و لم يجعل مغفرة الصغائر مشروطة بعدم إتيان الكبائر.

(٨) أبو حامد الغزالي، هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي النيسابوري الفقيه الصوفي الشافعي الأشعري الملقب بحجة الإسلام وزين الدين (٤٥٠ هـ – ٥٠٥ هـ / ١٠٥٨م – ١١١١م)، مجدد القرن الخامس الهجري، أحد أهم أعلام عصره وأحد أشهر علماء الدين السنة في التاريخ الإسلامي. انظر: إحياء علوم الدين، تحقيق: سيد عمران، دار الحيث القاهرة (١٤٢٥هـ)، (٣/١).

عليك التزكية والتطهير. وأما القبول فمبذول قد سبق به القضاء الأزلي الذي لا مردَّ له وهو المسمَّى فلاحاً، في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾[1].

قال الإمام الطبري – رحمه الله – قد أفلح من زكَّى الله نفسه، فكثَّر تطهيرها من الكفر والمعاصي، وأصلحها بالصالحات من الأعمال[2]. فمن يتوهم أن التوبة تصح ولا تقبل كمن يتوهم أن الشمس تطلع والظلام لا يزال[3]، وقد قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[4]. وقد قال تعالى أيضا: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾[5].

وقال النبي ﷺ: "لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم"[6]. وانظر قول سبحانه تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[7]. أي: من الذنب وإن تكرر غشْيانه، ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ أي: المتنزهين من الأقذار والأذى، وهو ما نهوا عنه من إتيان الحائض، أو في غير المأتى[8]. وقال الخازن في تفسير وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ يعني من الذنوب، والتواب الذي كلما أذنب جدد توبة[9]. الكافر إذا آمن بالله فليس إيمانه توبة عن كفره إلا إذا صاحب الإيمان ندم. وعند ذلك ينحط عنه وزر الكفر بالإيمان والندم إجماعا لقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾[10]. يقول تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ

---

(١) سورة الشمس، الآية: ٩ .

(٢) تفسير الطبري (٢٤ / ٤٥٦).

(٣) إحياء علوم الدين (١٧/٤) بتصرف.

(٤) سورة الشورى، الآية: ٢٥ .

(٥) سورة غافر، الآية: ٣ .

(٦) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه من حديث أبي هريرة ﷺ وإسناده حسن وهو بلفظ (لَوْ أَخْطَأْتُمْ حَتَّى تَبْلُغَ خَطَايَاكُمْ السَّمَاءَ ثُمَّ تُبْتُمْ لَتَابَ عَلَيْكُمْ)، سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، (٢ / ١٤١٩) رقم الحديث (٤٢٤٨).

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢ .

(٨) تفسير ابن كثير (١ / ٥٨٨).

(٩) تفسير الخازن (١ / ٢٢١).

(١٠) سورة الأنفال، الآية: ٣٨.

كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا﴾ أي: عما هم فيه من الكفر والمشاقة والعناد ويدخلوا في الإسلام والطاعة والإنابة، يغفر لهم ما قد سَلَف، أي: من كفرهم، وذنوبهم وخطاياهم[1]، كما جاء في الصحيح، من حديث أبي وائل عن ابن مسعود؛ أن رسول الله ﷺ قال: "من أحْسَن في الإسلام، لم يُؤاخَذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام، أخذ بالأول والآخر"[2].

والسبب في أن توبة الكافر من كفره تشجيع على الإيمان، والتردد في توبة العاصى سد لباب الرجاء الذي يجعل المسلم المتساهل يحوم حول المعاصي اتكالا على قبول التوبة.

إن التوبة عن أي ذنب تصح وتقبل متى تحققت شروطها، بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[3].

---

(١) تفسير ابن كثير (٤ / ٥٤).

(٢) صحيح البخاري،كِتَاب اسْتِتَابَةِ الْمُرْتَدِّينَ وَالْمُعَانِدِينَ وَقِتَالِهِمْ، بَاب إِثْمِ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، (٢١ / ٢٣٩)، رقم الحديث (٦٤١٠). وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَاب هَلْ يُؤَاخَذُ بِأَعْمَالِ الْجَاهِلِيَّةِ، (١ /٧٧)، رقم الحديث (٣٣٤). الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم المؤلف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (المتوفى ٢٦١هـ)، الناشر: دار الجيل بيروت و دار الأفاق الجديدة ـــ بيروت.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٢٥.

المطلب الثالث: التوبة عن بعض الذنوب دون بعض.

قد يكون الإنسان معتادا لمعاص متعددة كأكل الربا، وشرب الخمر و الزنا مثلا، وقد هداه الله إلى مقاومة نزواته، وقد صح منه الندم والإقلاع والعزم على ترك بعض هذه المعاصي، ولكن لم يستطع ترك بعضها. فهل توبته عما تاب عنه تعدّ توبة صحيحة أم لا؟.

ذهب بعض علماء المعتزلة إلى أن التوبة لا تتبعض ولا تصح إلا إذا كانت عن جميع ذنوبه، حتى إنه يرى أن الكافر إذا أسلم و لم يتب عن معصية استمر على فعلها لا تؤكل ذبيحته ولا تصح مناكحته، وإذا كان ممن يدفعون الجزية يجب استمراره في الدفع لأن إسلامه مع استمراره في بعض المعاصى لا ينفعه[١].

قال القرطبي – رحمه الله –: "وتصح أي التوبة من ذنب مع الإقامة على غيره من غير نوعه، وهذا مذهب أهل السنة"[٢].

تصح التوبة عن بعض الذنوب مع الإصرار على غيره، أي: على أنه يصح منه الطاعة مع تركه لغيرها فكذا وجب أن تصح منه التوبة مع الإصرار على غيرها[٣].

قال ابن القيم الجوزية – رحمه الله –: "والذي عندي في هذه المسألة أن التوبة لا تصح من ذنب مع الإصرار على آخر من نوعه، وأما التوبة من ذنب مع مباشرة آخر لا تعلق له به، ولا هو من نوعه، فتصح، كما إذا تاب من الربا، و لم يتب من شرب الخمر مثلا، فإن توبته من الربا صحيحة، وأما إذا تاب من ربا الفضل، و لم يتب من ربا النسيئة وأصر عليه أو بالعكس، أو تاب من تناول الحشيشة وأصر على شرب الخمر أو بالعكس فهذا لا تصح توبته، وهو كمن يتوب من الزنا بامرأة، وهو مصر على الزنا بغيرها غير تائب منه[٤].

---

(١) الإسفراييني، طاهر محمد الإسفرييني، التبصير في الدين، تحقيق كمال يوسف الحوت، الناشر: عالم الكتاب، (٨٧).

(٢) تفسير القرطبي (٥ /٨٤).

(٣) أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد، الغنية في أصول الدين. المتولي الشافعي، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، ط١، الناشر: مؤسسة الخدمات والأبحاث الثقافية – بيروت، ١٩٨٧م، (١ / ١٧٨- ١٧٧) بتصرف.

(٤) مدارج السالكين (١/ ٢٧٥).

جاء عن الإمام أحمد[1]: أن التوبة واجبة، ويؤمر بها الجميع، ومن ترك التوبة وجبت عليه التوبة، وتجوز التوبة من البعض، وتوبة من تاب ثم نقض[2].

وهذا يتفق مع رأي جمهور أهل السنة الذين يقولون إن التوبة عن أي ذنب تصح متى تحققت شروطها، وبقي ما أصر عليه سيئة تحتاج إلى توبة خاصة منها. ودليلهم أن الإنسان مجزي بعمله[3]، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[4].

ويؤيد هذا مارواه ابن جرير الطبري: حدثني أبو الخطاب الحساني، قال: ثنا الهيثم بن الربيع، قال: ثنا سماك بن عطية، عن أيوب، عن أبي قِلابة، عن أنس، قال: كان أبو بكر ﷺ يأكل مع النبي ﷺ، فنزلت هذه الآية: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[5] فرفع أبو بكر يده من الطعام، وقال: يا رسول الله إني أُجزَى بما عملت من مثقال ذرة من شرّ، فقال: "يا أبا بَكر، ما رأيْتَ في الدنْيا ممَّا تكره فمثَاقيلُ ذَرّ الشَّرّ، وَيَدَّخِرُ لَكَ اللهُ مثَاقِيلَ ذر الخير حتى تُوَفَّاه يَوْمَ الْقِيامَةِ"[6].

والذي أسلم واستمر على معاصيه ردوه بأن معاصيه التي كان يفعلها قبل نطقه بالشهادة مغفورة فور إسلامه لقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾[7]، كما سبق. ولقوله ﷺ: "حتى تمنيت

---

(١) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن ادريس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة الشيباني الذهلي من ربيعة أصله مروزي سكن بغداد، كنيته أبو عبد الله، كان حافظا متقنا فقيها لازما للورع الخفي مواظبا على العبادة الدائمة، أغاث الله به أمة محمد ﷺ وذلك أنه ثبت في المحنة وبذل نفسه لله حتى ضرب بالسياط فعصمه الله من الكفر وجعله علما يقتدى به وملجأ يلتجأ إليه مات سنة إحدى وأربعين ومائتين. انظر رجال مسلم (١ / ٣٠)

(٢) أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (المتوفى : ٥٢٦هـ) طبقات الحنابلة، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، (٥٥/١).

(٣) مدارج السالكين (٢٧٣/١)، بتصرف.

(٤) سورة الزلزلة، الآية: ٧-٨.

(٥) سورة الزلزلة، الآية: ٧-٨

(٦) الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، والحديث مرسل، الناشر: دار الحرمين - القاهرة ، ١٤١٥هـ، (٨ /٢٠٤).

(٧) سورة الأنفال، الآية: ٣٨ .

أن لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم" يريد أن إسلامه كان ذلك اليوم، الإسلام يجب ماقبله، فتمنى أن يكون ذلك الوقت أول دخوله في الإسلام، ليأمن من جريرة تلك الفعلة، و لم يرد أنه تمنى أن لايكون مسلماً قبل ذلك[1].

وبناء على هذا تجوز التوبة على المذنب ما دام ينطبق عليها شروط قبولها، ومالم يصر عليها، وإن أذنب بعد ذلك يعدّ معصية مستقلة تجب التوبة منها.

(١) ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى : ٣٥٤هـ) صحيح ابن حبان، كتاب السير، باب الخروج وكيفية الجهاد، ذكر الزجر عن قتل المسلم الحربي (١١ / ٥٨)، رقم الحديث (٤٧٥١).

المطلب الرابع: العود للمعصية بعد التوبة من الذنوب.

قد يتوب الشخص من ذنب أو ذنوب يرتكبها، وفي لحظة من الضعف البشري يرتكب ذنباً جديداً قد يكون من جنس الذنوب السابقة، وقد يكون ذنباً من معصية جديدة لا عهد له بها.

وقد ذهب المعتزلة إلى أن الرجوع إلى المعاصي يهدم التوبة السابقة، وخالفهم أهل السنة وقالوا لا تنتقض التوبة السابقة ولو عاد للمعصية في اليوم ألف مرة، ويجب عليه تجديدها كلما وقع في المعصية[1].

وقال سعيد بن المسيب[2]: أنزل الله قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾[3]. الذي يصيب الذنب ثم يتوب، ويصيب الذنب ثم يتوب[4]. وقد فسر ابن كثير الأوابين في قوله ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلأوَّابِينَ غَفُورًا﴾ قال: هو الذي إذا ذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر الله منها[5].

وقد أخرج ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: "لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب عليكم"[6].

---

(١) إمام الحرمين الجويني، كتاب الإرشاد (٥٠٥).

(٢) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي، (٦٣٧ - ٧١٥م / ١٤ هـ - ٩٤ هـ) كنيته أبو محمد، ولد لسنتين من خلافة عمر بن الخطاب، من كبار أهل العلم في الحديث، الفقه والتفسير القرآني، يعتبر سيد فقهاء المدينة والتابعين. انظر: الإمام الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، المحقق: مجموعة محققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، عدد الأجزاء: ٢٣، الناشر: مؤسسة الرسالة، (٢١٧/٤).

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٢٥ .

(٤) ذكره ابن كثير (٦٧/٥) في التفسير وقال: وكذا رواه عبد الرزاق عن الثوري ومعمر عن يحيى بن سعيد عن ابن المشيب بنحوه وكذا رواه الليث وابن جرير عن ابن المسيب.

(٥) تفسير ابن كثير (٥ / ٦٨).

(٦) سبق تخريجه في صفحة (٤٢).

والظاهرمن الآيات الكريمة يشهد لما ذهب إليه أهل السنة، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1]. بمعنى: فمن تاب مِن بعد سرقته، وأصلح في كل أعماله، فإن الله يقبل توبته. إن الله غفور لعباده، رحيم بهم.

قال ابن كثير في تفسيره: من تاب بعد سرقته وأناب إلى الله، فإن الله يتوب عليه فيما بينه وبينه، وأما أموال الناس فلا بد من ردها إليهم أو بدلها عند الجمهور[2].

والحكمة في هذه ظاهرة، فإذا كانت المعصية سراً تكون التوبة سراً، حتى لا تعلن ما ستر الله عليك. وإذا كانت علنية فلتكن التوبة كذلك، وحتى لا يظن الناس إصرارك على المعصية، وربما اغتر بذلك بعض العامة فاتخذ منك قدوة.

وقال الله تعالى أيضا: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[3]. يقول تعالى ذكره: والله الذي يقبل مراجعة العبد إذا رجع إلى توحيد الله وطاعته من بعد كفره ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ يقول: ويعفو له أن يعاقبه على سيئاته من الأعمال، وهي معاصيه التي تاب منها[4].

وأما إذا كانت المعصية إشراكاً وكفراً فإن حكم القرآن منها صريحا لا يحتمل التأويل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾[5]، ومعنى ﴿لَن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ قال الزمخشري: جعلت عبارة عن الموت على الكفر، لأنّ الذي لا تقبل توبته من الكفار هو الذي يموت على الكفر، كأنه قيل: إن اليهود أو المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا مائتون على الكفر، داخلون في جملة من لا تقبل توبتهم[6].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٩ .

(٢) تفسير ابن كثير (٣ / ١١٠)

(٣) سورة الشورى، الآية: ٢٥.

(٤) تفسير الطبري (٢١ / ٥٣٢).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٩٠.

(٦) الكشاف (١ / ٤٠٩).

قال الطبري –رحمه الله – إن الذين كفروا من اليهود بمحمد ﷺ عند مَبعثه، بعد إيمانهم به قبل مبعثه، ثم ازدادوا كفرًا بما أصَابوا من الذنوب في كفرهم ومُقامهم على ضلالتهم، لن تقبل توبتهم من ذنوبهم التي أصابوها في كفرهم، حتى يتوبوا من كفرهم بمحمد ﷺ، ويراجعوا التوبة منه بتصديقه بما جاء به من عند الله. ومعنى ﴿لَن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ مما ازدادوا من الكفر على كفرهم بعد إيمانهم، لا من كفرهم. لأن الله تعالى ذكره وعد أن يقبل التوبة من عباده فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾[1]، فمحالٌ أنْ يقول عز وجل: (أقبل) و(لا أقبل) في شيء واحد. وإذْ كان ذلك كذلك، وكان من حُكم الله في عباده أنه قابلٌ توبةَ كل تائب من كل ذنب، وكان الكفر بعد الإيمان أحدَ تلك الذنوب التي وعد قَبول التوبة منها بقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2].

علم أنّ المعنى الذي لا يقبل التوبةَ منه، غيرُ المعنى الذي يَقبل التوبة منه. فالذي لا يَقبل منه التوبة، هو الازدياد على الكفر بعد الكفر، لا يقبل الله توبة صاحبه ما أقام على كفره، لأن الله لا يقبل من مشرك عملا ما أقام على شركه وضلاله. فأما إن تاب من شركه وكفره وأصلح، فإنّ الله – كما وصف به نفسه – غفورٌ رحيمٌ[3].

المطلب الخامس: زمان التوبة.

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٥ .

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨٩ .

(٣) تفسير الطبري (٦ / ٥٨١-٥٨٢).

لا خلاف في أن باب التوبة مفتوح أمام الإنسان الذي وفقه الله تعالى ليختم حياته بمرضات الله، والآيات صريحة في أن الله يقبل التوبة عن عباده، ويرغبهم في الرجوع إليه قبل أن يغرغر المسلم لقوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلا صَالِحًا﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يفعل هذه الأفعال التي ذكرها جلّ ثناؤه يلق أثاما ﴿إِلاَّ مَنْ تَابَ﴾ يقول: إلا من راجع طاعة الله تبارك وتعالى بتركه ذلك، وإنابته إلى ما يرضاه الله ﴿وَآمَنَ﴾ يقول: وصدّق بما جاء به محمد نبيّ الله ﴿وَعَمِلَ عَمَلا صَالِحًا﴾ يقول: وعمل بما آمره الله من الأعمال، وانتهى عما نهاه الله عنه. قوله: ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾. اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: فأولئك يبدّل الله بقبائح أعمالهم في الشرك، محاسن الأعمال في الإسلام، فيبدله بالشرك إيمانا، وبقيل أهل الشرك بالله قيل أهل الإيمان به، وبالزنا عفة وإحصانا[2]، وقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ يقول تعالى ذكره: وكان الله ذا عفو عن ذنوب من تاب من عباده، وراجع طاعته، وذا رحمة به أن يعاقبه على ذنوبه بعد توبته منها[3]، وقال الله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾[4]. قوله ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ﴾ يقول: وإني لذو مغفرة لمن تاب من شركه، فرجع منه إلى الإيمان ﴿وآمَنَ﴾ يقول: وأخلص لي الألوهية، ولم يشرك في عبادته إياي غيري. و﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ يقول: وأدّى فرائضي التي افترضتها عليه، واجتنب معاصي ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾ يقول: ثم لزم ذلك فاستقام ولم يضيع شيئا منه[5]. وهذا الباب يبقى مفتوحا طالما كانت عودة الإنسان لربه في الوقت الذي يمكن فيه أن يقدم خيرا وأن يمنع نفسه عن ضلال وهو قادر على اختيار السير فيه والرجوع عنه.

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٠.

(٢) تفسير الطبري (١٩ / ٣١٠).

(٣) تفسير الطبري (١٩ / ٣١٢).

(٤) سورة طه، الآية: ٨٢ .

(٥) تفسير الطبري (١٨ / ٣٤٧).

أما إذا وصل الإنسان إلى نقطة النهاية من حياته فلا توبة من معصية مضت ولا أمل في خير يرتجى لقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[1]. قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ﴾ نفى سبحانه أن يدخل في حكم التائبين من حضره الموت وصار في حين اليأس؛ كما كان فرعون حين صار في غمرة الماء والغرق فلم ينفعه ما أظهر من الإيمان؛ لأن التوبة في ذلك الوقت لا تنفع، لأنها حال زوال التكليف. وبهذا قال ابن عباس وجمهور المفسرين[2].

وأما الكفار يموتون على كفرهم فلا توبة لهم في الآخرة، وإليهم الإشارة بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ وهو الخلود في النار وعذابها. وإن كانت الإشارة بقوله إلى الجميع فهو في جهة العصاة عذاب لا خلود معه؛ وهذا على أن السيئات ما دون الكفر؛ أي ليست التوبة لمن عمل دون الكفر من السيئات ثم تاب عند الموت، ولا لمن مات كافرا فتاب يوم القيامة. وقد قيل: إن السيئات هنا الكفر، فيكون المعنى وليست التوبة للكفار الذين يتوبون عند الموت، ولا للذين يموتون وهم كفار[3]. وبدليل عدم قبول توبة فرعون حينما أدركه الغرق، قال تعالى حكاية عنه، ﴿قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[4]. وقوله تعالى: ﴿قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل فرعون حين أشرف على الغرق، وأيقن بالهلكة: ﴿آمَنتُ﴾، يقول: أقررت، ﴿ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ [5]. فرد الله تعالى توبته وإيمانه بقوله تعالى: ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[6].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٨.

(٢) الطبري في جامع البيان (٨/١٠١)، عن ابن عباس قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾. سورة النساء، الآية: ١٨.

(٣) تفسير القرطبي (٥/٨٧).

(٤) سورة يونس، الآية: ٩٠ .

(٥) تفسير الطبري (١٥ / ١٨٩).

(٦) سورة يونس، الآية: ٩١.

روي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن النبي ﷺ قال: "لما أغرق الله فرعون قال: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾[1]، فقال جبريل عليه السلام: يا محمد فلو رأيتني وأنا آخذ من حال (الحمأ) البحر فأدسه في فِيْهِ مخافةَ أن تدركه (جانب) الرحمة"[2].

فلما أخبر موسى قومه بهلاك فرعون وقومه قالت بنو إسرائيل ما مات فرعون، فأمر الله البحر فألقى فرعون على الساحل أحمر قصيرًا كأنه ثور فرآه بنو إسرائيل فمن ذلك الوقت لا يقبل الماءُ مَيْتًا[3]، وكذلك إذا بدأت علامات الساعة منذرة بانتهاء العالم، لقول لله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾[4]. يقول تعالى متوعدًا للكافرين به، والمخالفين رسله والمكذبين بآياته، والصادين عن سبيله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ وذلك كائن يوم القيامة. ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ الآية، وذلك قبل يوم القيامة كائن من أمارات الساعة وأشراطها[5].

كما قال البخاري[6] في تفسير هذه الآية: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبد الواحد، حدثنا عمارة، حدثنا أبو زُرْعَة، حدثنا أبو هريرة، رضي الله عنه، قال: قال

---

(١) سورة يونس، الآية: ٩٠.

(٢) أخرجه الترمذي في تفسير سورة يونس: (٨/ ٢٢٥) ، وقال: هذا حديث حسن، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي: ١ / ٥٧، ٤ / ٢٤٩، وابن حبان، ص (٤٣٢)، والطبري: (١٤ / ١٩٠-١٩٢)، والإمام أحمد في المسند: (١/ ٣٤٠). وقد زعم الزمخشري في "الكشاف" أن ما جاء في الحديث من قول جبريل عليه السلام: "خشية أن تدركه الرحمة" "من زيادات الباهتين لله وملائكته. وفيه جهالتان: إحداهما أن الإيمان بالقلب، كإيمان الأخرس، فحال البحر لا يمنعه. والأخرى: أن من كره إيمان الكافر وأحب بقاءه على الكفر فهو كافر، لأن الرضا بالكفر كفر". انظر الكشاف: (٢ / ٢٠٢).

(٣) تفسير البغوي (٤ / ١٤٨-١٤٩).

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.

(٥) تفسير ابن كثير (٣ / ٣٧١).

(٦) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، ويكن أبا عبد الله، الجعفي البخاري الامام في علم الحديث صاحب الجامع الصحيح والتاريخ رحل في طلب العلم إلى سائر محدثى الأمصار، وكان مولد الإمام المحدث العالم الحافظ البخاري سنة ١٩٤ هـ وتوفي سنة ٢٥٦هـ في قرية من قري سمرقند تسمى خرتنك، انظر: كتاب الوفيات، أبي

رسول الله ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مَغْرِبها، فإذا رآها الناس آمن من عليها"، فذلك حين ﴿لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾[1].

حدثنا إسحاق، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا مَعْمَر، عن هَمَّام بن مُنَبِّه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها" ثم قرأ هذه الآية، ﴿لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾[2].

ومن الوجه الأول أخرجه بقية الجماعة في كتبهم إلا الترمذي[3]، من طرق، عن عمارة بن القَعْقَاع بن شُبْرُمَة، عن أبي زرعة بن عن عمرو بن جرير، عن أبي هريرة رضي الله عنه، به[4].

والإمام أحمد رأى في ما إذا مات المؤمن قبل أن يتوب فإنه يفتح أمامه باب الرجاء حيث قال: الذنوب من ورائها الاستغفار والتوبة، وإن اخترمته المنية قبلهما فأمره مرجي إلى الله، ويجوز عنده إن يغفر الله لمن لم يتب، واستدل بقوله عزوجل: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ

=العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب، تحقيق: عادل نويهض الناشر دار الإقامة الجديدة سنة النشر ١٩٧٨م، (١/ ١٨٠). وانظر: تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، (٢ / ٤).

(١)سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، بَاب ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا﴾ (١٧٥/١٤) رقم الحديث (٤٢٦٩)، (٤٢٧٠). هكذا روي هذا الحديث من هذين الوجهين.

(٣) الترمذي، الإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن سورة السلمي الترمذي الضرير، مصنف الجامع المسمى بالسنن وكتاب العلل ولد سنة بضع ومائتين. وتوفي رحمه الله تعالى ١٣ شهر رجب الفرد سنة تسع وسبعين ومائتين هـ. انظر: تذكرة الحفاظ، تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي دراسة، وتحقيق: زكريا عميرات، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، (٢/ ١٥٤).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، (٩٥/١)، رقم الحديث (٤١٣). وسنن أبي داود، كتاب الملاحم، بَاب أَمَارَاتِ السَّاعَةِ، (١٩٣/٤)، رقم الحديث (٤٣١٤)، سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، عدد الأجزاء: ٤، الناشر : دار الكتاب العربي ـــ بيروت. والنسائي في السنن الكبرى، سنن النسائي الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، سورة الأنعام، باب قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾، (٦/ ٣٤٣) رقم الحديث (١١١٧٧)، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت عدد الأجزاء: ٦، ١٤١١ هـ- ١٩٩١م. وسنن ابن ماجة، كتاب الفتن، بَاب طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، (١٣٥٢/٢) رقم الحديث (٤٠٦٨).

بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1].

والتائب لا يقال له ظالم[2]. ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الحَسَنَةِ﴾ بالعقوبة قبل العافية، وذلك لأنهم استعجلوا ما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء. ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ المَثُلاَتُ﴾ عقوبات أمثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم، والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصَدُقَة والصُدْقَة، العقوبة لأنها مثل المعاقب عليه، ومنه المثال للقصاص وأمثلت الرجل من صاحبه إذا اقتصصته منه. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾[3] مع ظلمهم أنفسهم، ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به دليل على جواز العفو قبل التوبة، فإن التائب ليس على ظلمه، ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر، أو أول المغفرة بالستر والإمهال. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ العِقَابِ﴾[4] للكفار أو لمن شاء[5].

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٦.

(٢) اعتقاد أحمد/ ذيل طبقات الحنابلة (٣٠٣/٢) ولها طبعة أخرى حققها الشيخ عبد االعزيز السيروان دار قتيبة، (ص١٢١).

(٣) سورة الرعد، الآية: ٦.

(٤) سورة الرعد، الآية: ٦.

(٥) البيضاوي، ناصرالدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى : ٦٨٥هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي (٣١٨/١).

الفصل الثاني

آيات التوبة في القرآن الكريم.

المبحث الأول: آيات التوبة في القرآن الكريم وبيان معانيها وأقوال المفسرين فيها وصيغها.

المطلب الأول: آيات التوبة في القرآن الكريم وبيان معانيها وأقوال المفسرين فيها.

المطلب الثاني: صيغ التوبة في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الفرق بين التوبة، الأوب، الإنابة .

المطلب الأول: التوبة، مع ذكر الآيات الواردة فيها في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الأوب، مع ذكر الآيات الواردة فيه في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: الإنابة، مع ذكر الآيات الواردة فيها في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: الذنوب وأقسامها ومحوها بالتوبة والاستغفار وفوائد التوبة والاستغفار.

المطلب الأول: تعريف الذنوب لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: أقسام الذنوب.

المطلب الثالث: أسباب ارتكاب الإنسان للذنوب.

المطلب الرابع: حكم الاستغفار وفضله.

المطلب الخامس: فوائد التوبة والاستغفار.

الفصل الثاني: آيات التوبة في القرآن الكريم.

المبحث الأول: آيات التوبة في القرآن الكريم وبيان معانيها وأقوال المفسرين فيها وصيغها.

المطلب الأول: آيات التوبة في القرآن الكريم وبيان معانيها وأقوال المفسرين فيها.

وردت كلمة التوبة في القرآن الكريم سبع وثمانين مرة، بصيغ، واشتقاقات ومعان مختلفة.

يرى صاحب البصائر أن التوبة جاءت في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه[1]:

الأوّل: بمعنى التجاوز والعفو. وهذا مقيّد بعلى، قال القرطبي في معنى قوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾[2] أي خفف وسهل و عفا عنكم [3]. وأمثلته كثيرة منها:

قال الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ...﴾[4].

وقال الله تعالى: ﴿...ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ...﴾[5].

وقال الله تعالى: ﴿...وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ...﴾[6].

وقال الله تعالى: ﴿...فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ...﴾[7].

وقال الله تعالى: ﴿...فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ...﴾[8].

وقال الله تعالى: ﴿...أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾[9].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾[10].

---

(١) الفيروزابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي الشيرازي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق عبد العليم الطحاوي ومحمد علي النجار، دار النشر المكتبة العلمية، (١٧٩/٢).

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٣) تفسير القرطبي (٢ / ٦٩٤).

(٤) سورة البقرة، الآية: ٣٧.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٥٤.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٢٨.

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٦٠.

(٨) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٩) سورة آل عمران، الآية: ١٢٨.

(١٠) سورة النساء، الآية : ١٧.

وقال الله تعالى: ﴿...وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1] .

وقال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ...﴾[2].

وقال الله تعالى: ﴿...فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[3].

وقال الله تعالى: ﴿...ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا ...﴾[4].

وقال الله تعالى: ﴿... وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[5].

وقال الله تعالى: ﴿...عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[6].

وقال الله تعالى: ﴿...وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[7] .

وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ..﴾[8].

وقال الله تعالى: ﴿...وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ...﴾[9].

وقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾[10].

وقال الله تعالى: ﴿...أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[11].

وقال الله تعالى: ﴿...وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[12].

وقال الله تعالى: ﴿...فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ...﴾[13].

---

(١) سورة النساء، الآية : ٢٦.

(٢) سورة النساء، الآية : ٢٧.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٩.

(٤) سورة المائدة، الآية : ٧١.

(٥) سورة التوبة، الآية : ١٥.

(٦) سورة التوبة، الآية : ١٠٢.

(٧) سورة التوبة، الآية : ١٠٦.

(٨) سورة التوبة، الآية : ١١٧.

(٩) سورة التوبة، الآية: ١١٨.

(١٠) سورة طه، الآية: ١٢٢.

(١١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٤.

(١٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧٣.

(١٣) سورة المجادلة، الآية: ١٣.

وقال الله تعالى: ﴿..عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ..﴾[1].

الثَّانى: بمعنى الرّجوع، والإنابة. وهذا مقيّد بإلى، قال الطبري في معنى قوله تعالى: ﴿فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ﴾[2]، فإنه يعني به: ارجعوا إلى طاعة خالقكم، وإلى ما يرضيه عنكم[3]. وأمثلته كثيرة منها:

قال الله تعالى: ﴿...فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ ...﴾[4].

وقال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[5].

وقال الله تعالى: ﴿...قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[6].

وقال الله تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا ...﴾[7].

وقال الله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ...﴾[8].

وقال الله تعالى: ﴿...فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾[9].

وقال الله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾[10].

وقال الله تعالى: ﴿...وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[11].

وقال الله تعالى: ﴿...فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾[12].

وقال الله تعالى: ﴿...إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[13].

---

(١) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٥٤.

(٣) تفسير الطبري (٢ / ٧٨).

(٤) سورة البقرة، الآية: ٥٤.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٧٤.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٧) سورة هود، الآية: ٣.

(٨) سورة هود، الآية: ٥٢.

(٩) سورة هود، الآية: ٦١.

(١٠) سورة هود، الآية: ٩٠.

(١١) سورة النور، الآية: ٣١.

(١٢) سورة الفرقان، الآية: ٧١.

(١٣) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.

وقال الله تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ...﴾[1].

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ...﴾[2].

الثالث: بمعنى النَّدامة على الزَلَّة، وهذا غير مقيّد لا بإلى، ولا بعلى:

قال الطبري في: تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾[3] أي، ثم يتوبون ويندمون قبل مماتهم، في الحال التي يفهمون فيها أمر الله تبارك وتعالى ونهيَه، وقبل أن يُغلبوا على أنفسهم وعقولهم، وقبل حال اشتغالهم بكرب الحَشْرجة وغمّ الغرغرة، فلا يعرفوا أمر الله ونهيه، ولا يعقلوا التوبة، لأن التوبة لا تكون توبة إلا ممن ندم على ما سلف منه، وعزم فيه على ترك المعاودة [4]. وأمثلته كثيرة منها:

وقال الله تعالى: ﴿...إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[5].

وقال الله تعالى: ﴿...وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾[6].

وقال الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[7].

وقال الله تعالى: ﴿...ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾[8].

وقال الله تعالى: ﴿...فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا ...﴾[9].

وقال الله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ...﴾[10].

وقال الله تعالى: ﴿...تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[11].

وقال الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ ..﴾[12].

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٤.

(٢) سورة التحريم، الآية: ٨.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٧.

(٤) تفسير الطبري (٨ / ٩٦).

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢ .

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٧٩.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ٨٩ .

(٨) سورة آل عمران، الآية: ٩٠.

(٩) سورة النساء، الآية: ١٦.

(١٠) سورة النساء، الآية: ١٨.

(١١) سورة النساء، الآية: ٩٢.

(١٢) سورة النساء، الآية: ١٤٦.

وقال الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ...﴾[1].

وقال الله تعالى: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ ...﴾[2].

وقال الله تعالى: ﴿...ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[3].

وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا ...﴾[4].

وقال الله تعالى: ﴿...فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ...﴾[5].

وقال الله تعالى: ﴿...فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ...﴾[6].

وقال الله تعالى : ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[7].

وقال الله تعالى: ﴿...فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ ...﴾[8].

وقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ..﴾[9].

وقال الله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ ...﴾[10].

وقال الله تعالى: ﴿...ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[11].

وقال الله تعالى: ﴿...وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[12].

وقال الله تعالى: ﴿...قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾[13].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٤.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣٩ .

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٥٤.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٥٣.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٣ .

(٦) سورة التوبة، الآيتان: ٥ و١١.

(٧) سورة التوبة، الآية: ٢٧.

(٨) سورة التوبة، الآية: ٧٤ .

(٩) سورة التوبة، الآية: ١٠٤.

(١٠) سورة التوبة، الآية: ١١٢.

(١١) سورة التوبة، الآية: ١٢٦.

(١٢) سورة هود، الآية: ١١٢.

(١٣) سورة الرعد، الآية: ٣٠ .

وقال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾[1].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾[2].

وقال الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[3].

وقال الله تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ...﴾[4].

وقال الله تعالى: ﴿...لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾[5].

وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ...﴾[6].

وقال الله تعالى: ﴿...تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾[7].

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا...﴾[8].

وقال الله تعالى: ﴿...ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾[9].

وقد جمع هذه المعاني اسم الله عزوجل التواب وهو اسم من أسمائه الحسنى والتي اشتق منها صفة التوبة التي تعنى أنه يعود على عبده بفضله ومغفرته إذا تاب إليه من ذنبه، وهذا ما ذهب إليه الفخر الرازى[10] في بيان معنى ﴿التَّوَّابُ﴾ قال الله تعالى: ﴿إِنّ اللّهَ كَانَ

---

(١) سورة مريم، الآية: ٦٠، وسورة الفرقان ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ الآية: ٧٠، ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ الآية:٧١، وسورة القصص ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ الآية: ٦٧.

(٢) سورة طه، الآية: ٨٢.

(٣) سورة النور، الآية: ٥.

(٤) سورة غافر، الآية: ٣.

(٥) سورة غافر، الآية: ٧.

(٦) سورة الشورى، الآية: ٢٥.

(٧) سورة التحريم، الآية: ٥.

(٨) سورة التحريم، الآية: ٨.

(٩) سورة البروج، الآية: ١٠.

(١٠) محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي أبو عبد الله فخر الدين ولد بالري من أعمال فارس من تصانيفه الكثيرة: تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير و مفاتيح الغيب من القرآن الكريم، (المتوفى : ٦٠٦هـ)، انظر تفسير الفخر الرازى (١ / ١).

تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[1] معنى التواب: أنه يعود على عبده بفضله ومغفرته إذا تاب إليه من ذنبه، وأما قوله: ﴿كَانَ تَوَّابًا﴾ فقد تقدم الوجه فيه[2]. وقال ابن كثير: في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[3] أي: إنه يتوب على من تاب إليه وأناب، كقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾[4]، وقوله: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[5]، وقوله: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾[6]، وغير ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى يغفر الذنوب ويتوب على من يتوب وهذا من لطفه بخلقه ورحمته بعبيده، لا إله إلا هو التواب الرحيم[7].

والتواب هو الله سمي بذلك لكثرة قبوله توبة العباد حالا بعد حال، قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[8].

وقد ورد اسم الله التواب في ستة مواضع معرفا بالألف واللام، كما في سورة البقرة وسورة التوبة: قال الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[9].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[10].

---

(١) سورة النسآء، الآية: ١٦.

(٢) تفسير الفخر الرازى (٩ / ٥٣١).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٧.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٠٤.

(٥) سورة النساء، الآية: ١١٠.

(٦) سورة الفرقان، الآية: ٧١.

(٧) تفسير ابن كثير (١ / ٢٤٠).

(٨) سورة البقرة، الآية: ١٢٨.

(٩) سورة البقرة، الآية: ٣٧.

(١٠) سورة البقرة، الآية: ٥٤.

وقال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾(١).

وقال الله تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾(٢).

وقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾(٣).

وقال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾(٤).

وورد اسم الله التواب في خمسة مواضع بالتنوين، كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾(٥)

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾(٦).

وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾(٧).

وقال الله تعالى: ﴿...وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾(٨).

وقال الله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾(٩) .

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٠.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٤.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١١٨.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٦.

(٦) سورة النساء، الآية: ٦٤ .

(٧) سورة النور، الآية: ١٠.

(٨) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

(٩) سورة النصر، الآية: ٣.

المطلب الثاني: صيغ التوبة في القرآن الكريم.

جاءت صيغة التوبة في القرآن الكريم بجميع صيغ، جاءت بصيغة المصدر، وصيغة الأمر وصيغة المضارع، وصيغة الماضي، منها:

صيغة تاب: جاءت هذه الصيغة في القرآن الكريم في ثمانية عشر موضعا. منها: قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[1] والآية مدنية.

وقال الله تعالى: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾[2] والآية مكية.

وقال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾[3] والآية مكية.

صيغة تابا: جاءت هذه الصيغة في القرآن الكريم في موضع واحد،

قوله تعالى: ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَا...﴾[4] والآية مدنية.

صيغة تابوا: جاءت هذه الصيغة في القرآن الكريم في عشرة مواضع، منها: قوله تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[5] والآية مدنية.

وقال الله تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[6] والآية مدنية.

وقال الله تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ...﴾[7] والآية مدنية.

صيغة تبت: جاءت هذه الصيغة في القرآن الكريم ثلاثة مواضع، منها: قوله تعالى:

﴿...حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ...﴾[8] والآية مدنية.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٥٤.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٧١.

(٣) سورة القصص، الآية: ٦٧.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٦.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٦٠.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٨٩.

(٧) سورة النور، الآية: ٥.

(٨) سورة النساء، الآية: ١٨.

وقال الله تعالى: ﴿...فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1] والآية مكية.

صيغة تبتم: جاءت هذه الصيغة في القرآن الكريم في موضعين فقط،

قال الله تعالى: ﴿...وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾[2] والآية مدنية. وقال الله تعالى: ﴿...فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ...﴾[3] والآية مدنية.

صيغة أتوب: جاءت هذه الصيغة في القرآن الكريم في موضع واحد،

قال الله تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ..﴾[4] والآية مدنية.

صيغة تتوبا: جاءت هذه الصيغة في القرآن الكريم في موضع واحد،

قال الله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾[5] والآية مدنية.

صيغة يتب: جاءت هذه الصيغة في القرآن الكريم في موضع واحد،

قال الله تعالى: ﴿...وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[6] والآية مدنية.

صيغة يتوب: جاءت هذه الصيغة في القرآن الكريم في اثني عشر موضعا، منها: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾[7] والآية مدنية.

وقال الله تعالى: ﴿...ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾[8] والآية مدنية.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٩.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٣.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٦٠.

(٥) سورة التحريم، الآية: ٤.

(٦) سورة الحجرات، الآية: ١١.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٢٨.

(٨) سورة النساء، الآية: ١٧.

وقال الله تعالى: ﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1] والآية مدنية.

صيغة يتوبوا: جاءت هذه الصيغة في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع، منها: قوله تعالى: ﴿...وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ...﴾[2] والآية مدنية.

وقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[3] والآية مدنية.

صيغة يتوبون: جاءت هذه الصيغة في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع، منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ...﴾[4] والآية مدنية.

وقال الله تعالى: ﴿أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[5] والآية مدنية.

صيغة تب: جاءت هذه الصيغة في القرآن الكريم في موضع واحد،

قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[6] والآية مدنية.

صيغة توبوا: جاءت هذه الصيغة في القرآن الكريم في سبعة مواضع، منها: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ ...﴾[7] والآية مدنية.

وقال الله تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى...﴾[8] والآية مكية.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٩.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧٤ .

(٣) سورة التوبة، الآية: ١١٨.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٧.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٧٤.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٢٨.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٥٤.

(٨) سورة هود، الآية: ٣ .

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ...﴾[1] والآية مدنية.

صيغة التوب: جاءت هذه الصيغة في القرآن الكريم في موضع واحد،

قال الله تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[2] والآية مكية.

صيغة توبة: جاءت هذه الصيغة في القرآن الكريم في ستة مواضع، منها: قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ...﴾[3] والآية مدنية.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ...﴾[4] والآية مدنية.

وقال الله تعالى: ﴿...فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[5] والآية مدنية.

صيغة توبتهم: جاءت هذه الصيغة في القرآن الكريم في موضع واحد،

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾[6] والآية مدنية.

صيغة التائبون: جاءت هذه الصيغة في القرآن الكريم في موضع واحد، قال الله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[7] والآية مدنية.

صيغة تائبات: جاءت هذه الصيغة في القرآن الكريم في موضع واحد ،

قال الله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾[8] والآية مدنية.

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٨.

(٢) سورة غافر، الآية: ٣.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٧.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٨.

(٥) سورة النساء، الآية: ٩٢ .

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٩٠.

(٧) سورة التوبة، الآية: ١١٢.

(٨) سورة التحريم، الآية: ٥.

صيغة توّاب: جاءت هذه الصيغة في القرآن الريم في ثمانية مواضع، منها: قوله تعالى:

﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[1] والآية مدنية.

قال الله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[2] والآية مدنية.

صيغة توّاباً: جاءت هذه الصيغة في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع، منها: قوله تعالى:

﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[3] والآية مدنية.

وقال الله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[4] والآية مدنية.

صيغة التوّابين: جاءت هذه الصيغة في القرآن الكريم في موضع واحد،

قال الله تعالى: ﴿...إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[5] والآية مدنية.

صيغة متاب: جاءت هذه الصيغة في القرآن الكريم في موضع واحد،

قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾[6] والآية مدنية.

صيغة متاباً: جاءت هذه الصيغة في القرآن الكريم في موضع واحد،

قال الله تعالى: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾[7] والآية مكية.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٥٤.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٦.

(٤) سورة النصر، الآية: ٣.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

(٦) سورة الرعد، الآية: ٣٠ .

(٧) سورة الفرقان، الآية: ٧١.

المبحث الثاني: الفرق بين التوبة، الأوب، الإنابة.

المطلب الأول: التوبة، مع ذكر الآيات الواردة فيها في القرآن الكريم.

هذا الموضوع قد سبق ذكره في الباب الأول والباب الثاني مع ذكر الآيات المتعلقة بالتوبة. وخلاصة معناها: أن التوبة هي: الرجوع عن الذنوب إلى طاعة الله رجوعا لا معصية بعده. وأيضا: تركُ الذنب لقبحه، والندمُ على ما فرط منه، والعزمُ على ترك المعاودة، وتداركُ هفواته ما أمكنه، وردُّ المظالم إلى أهلها. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[1]. قال الإمام الطبري – رحمه الله –: يا أيها الذين صدقوا الله ﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ﴾ يقول: ارجعوا من ذنوبكم إلى طاعة الله، وإلى ما يرضيه عنكم، ﴿تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ يقول: رجوعاً لا تعودون فيها أبدا[2].

فالتوبة النصوح هي التي اتسم صاحبها بالفاعلية، والصدق، والإخلاص، والعمل، والحرارة، والجد في السير على طريق الأوبة إلى الله تعالى، ومحاولة إصلاح ما فسد، وتدارك ما فات، وكراهية المعصية، ورد المظالم إلى أصحابها. وهكذا شملت هذه الكلمة – القليلة في مبناها، الواسعة في معناها– تلك المعاني وسواها[3]. وعن علي ﷺ عنه: أنه سمع أعرابياً يقول: اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك، فقال: يا هذا، إنّ سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين. قال: وما التوبة؟ قال: يجمعها ستة أشياء: على الماضي من الذنوب: الندامة، وللفرائض: الإعادة، ورد المظالم، واستحلال الخصوم، وأن تعزم على أن لا تعود، وأن تذيب نفسك في طاعة الله، كما ربيتها في المعصية، وأن تذيقها مرارة الطاعات كما أذقتها حلاوة المعاصي[4].

التوبة هي من صفة المؤمنين الصادقين، قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[5].

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٨ .

(٢) تفسير الطبري (٢٣ / ٤٩٣).

(٣) من معالم الهدى القرآني في التوبة، ص (٣٤).

(٤) الكشاف (٣٧١/٢٣).

(٥) سورة النور، الآية: ٣١.

وارجعوا- أيها المؤمنون- إلى طاعة الله فيما أمركم به من هذه الصفات الجميلة والأخلاق الحميدة، واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة؛ رجاء أن تفوزوا بخيري الدنيا والآخرة.

قال الطبري في قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾[1] يقول تعالى ذكره: وارجعوا أيها المؤمنون إلى طاعة الله فيما أمركم ونهاكم من غضّ البصر، وحفظ الفرج، وترك دخول بيوت غير بيوتكم، من غير استئذان ولا تسليم، وغير ذلك من أمره ونهيه؛ ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ يقول: لتفلحوا وتدركوا طلباتكم لديه، إذا أنتم أطعتموه فيما أمركم ونهاكم[2].

وقال الرازي: إن تكاليف الله تعالى في كل باب لا يقدر العبد الضعيف على مراعاتها وإن ضبط نفسه واجتهد، ولا ينفك من تقصير يقع منه، فلذلك وصى المؤمنين جميعاً بالتوبة والاستغفار وتأميل الفلاح إذا تابوا واستغفروا[3].

---

(١) سورة النور، الآية: ٣١.

(٢) تفسير الطبري (١٩ / ١٦٥).

(٣) تفسير الرازي (١١ /٣١٠).

المطلب الثاني : الأوب، مع ذكر الآيات الواردة فيه في القرآن الكريم.

الأوب: الرجوع، يقال: آبَ إِلى الشيءِ رَجَعَ، يَؤُوبُ، أَوْباً، وإِياباً، وأَوْبَةٌ، وأَيْبَةً على المُعاقبة، وإِيبَةً بالكسر عن اللحياني رجع، وأوَّبَ وتَأَوَّبَ وأَيَّبَ كُلُّه رَجَعَ، وآبَ الغائبُ يَؤُوبُ مآباً إِذا رَجَع، ويقال لِيَهْنِئْكَ أَوْبةُ الغائِبِ أَي إِيابُه، وفي الحديث عَنْ مالك عن نافع عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ "كَانَ إِذَا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ أَوْ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ يُكَبِّرُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ مِنْ الْأَرْضِ ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ، ثُمَّ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ"[1]، وهو جمع سلامة – يقصد به جمع مذكر سالم– لآيب وفي التنزيل العزيز: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾[2]، أَي حُسْنَ المَرجِعِ الذي يَصِيرُ إِليه في الآخرة[3].

وقال ابن فارس[4] في معنى كلمة: (أوب) الهمزة والواو والباء أصلٌ واحد، وهو الرجوع، ثم يشتق منه ما يبعد في السَّمْع قليلاً، والأصل واحد[5].

وقال ابن عاشور[6]: حسن المآب: حسن المرجع، وهو أن يرجع رجوعا حسنا عند نفسه وفي مرأى الناس، أي له حسن رجوع عندنا وهو كرامة عند الله يوم الجزاء، آي الجنة يئوب إليها[1].

---

(١) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، باب المتفق عليه من مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب – رضي الله عنهما–، (٢ /١٧٢) رقم الحديث (١٣٥٣) تأليف: محمد بن فتوح الحميدي، تحقيق د. علي حسين البواب، ط٢، دار النشر / دار ابن حزم – لبنان/ بيروت،– ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

(٢) سورة ص، الآية: ٤٠.

(٣) لسان العرب (١ / ٢١٧).

(٤) الامام العلامة، اللغوي أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب الرازي ، توفي سنة ٣٩٥. المعروف بالرازي، المالكي، اللغوي، نزيل همذان، وصاحب كتاب: " المجمل"و"معجم مقاييس اللغة". انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس – (١ / ٣).

(٥) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (١ / ١٥٢).

(٦) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) وهو من أهل المنطقة ولد بتونس وتوفي بها صاحب التفسير المسمى بالتحرير والتنوير، انظر: مقدمة التحرير و التنوير – (١ / ١).

والمراد: الرجوع إلى ما أمر الله به والوقوف عند حدوده وتدارك ما فرط فيه. والتائب يطلق عليه الأواب[٢]. قال الله تعالى: ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[٣]، قال تعالى ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ أي رجاع إلى الله عز وجل بالتوبة عن كل ما يكره[٤]، قال القرطبي: أنه كلما ذكر ذنبه أو خطر على باله استغفر منه؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة"[٥]. ويقال آب يؤوب إذا رجع؛ فكان داود رجاعاً إلى طاعة الله ورضاه في كل أمر فهو أهل لأن يقتدى به[٦].

قال الله تعالى: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ﴾[٧]، قوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ معطوف على الجبال، قال ابن عباس: كان داود عليه السلام إذا سبّح الله جاوبته الجبال واجتمعت إليه الطير فسبحت معه، فاجتماعها إليه حشرها، فالمعنى وسخرنا الطير مجموعة إليه لتسبح الله معه، وقيل: أي وسخرنا الريح لتحشر الطيور إليه لتسبح معه. أو أمرنا الملائكة تحشر الطيور، ﴿كُلٌّ لَهُ﴾ أي لداود ﴿أَوَّابٌ﴾ أي مطيع؛ أي تأتيه وتسبح معه، وقيل: الهاء لله عز وجل[٨]. وقال الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[٩]، قول تعالى ذكره ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ﴾ ابنه ولدا ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ﴾

---

(١) ابن عاشور، ، التحرير والتنوير، المعروف بتفسير ابن عاشور، ط١، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، (٢٣ / ١٤٠).

(٢) التحرير والتنوير (٢٣ / ١٢٨).

(٣) سورة ص، الآية: ١٧.

(٤) تفسير الخازن (٢٨٢/٥)

(٥) النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، سنن النسائي الكبرى (٦ / ٤٦٠)، رقم الحديث، (١٠٢٧٢)، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت،١٤١١ هـ – ١٩٩١م.

(٦) تفسير القرطبي (١٥ /١٣٦).

(٧) سورة ص، الآية: ١٩.

(٨) تفسير القرطبي (١٥ / ١٣٨).

(٩) سورة ص، الآية: ٣٠.

يقول: نعم العبد سليمان ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ يقول: إنه رجاع إلى طاعة الله توّاب إليه مما يكرهه منه. وقيل: إنه عُني به أنه كثير الذكر لله والطاعة [الصلاة][1].

قال الله تعالى: ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾[2]، وقوله ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ يعني: لكل راجع من معصية الله إلى طاعته، تائب من ذنوبه[3].

والأوبة صفة من صفات الأنبياء، قال الله تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[4]، إنا وجدنا أيوب صابرًا على البلاء، نِعم العبد هو، إنه رجَّاع إلى طاعة الله.

وقال الطبري في قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ﴾ يقول: إنا وجدنا أيوب صابرا على البلاء، لا يحمله البلاء على الخروج عن طاعة الله، والدخول في معصيته ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ يقول: إنه على طاعة الله مقبل، وإلى رضاه رجَّاع[5].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: "لا يحافظ على صلاة الضحى إلا أواب"، قال: وهي صلاة الأوابين، (الأوابين) جمع أواب وهو كثير الرجوع إلى الله تعالى بالتوبة[6].

آيات الأوب في القرآن الكريم.

الآيات التي ورد فيها ذكر (الأوب) في القرآن الكريم كثيرة، وهي تأتي بمعنى الرجوع، قال الطبري[7] — رحمه الله – في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ وكذلك قال ابن

---

(١) تفسير الطبري (٢١ / ١٩١).

(٢) سورة ق، الآية: ٣٢.

(٣) تفسير الطبري (٢٢ / ٣٦٤).

(٤) سورة ص، الآية: ٤٤.

(٥) تفسير الطبري (٢١ / ٢١٤).

(٦) صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، كتب الصلاة، باب في فضل صلاة الضحى إذ هي صلاة الأوابين، (٢ / ٢٢٨)، رقم الحديث (١٢٢٤)، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت ، ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠ م.

(٧) تفسير الطبري (٢١ / ١٦٨).

كثير[1]– رحمه الله – وقال البغوي[2]– رحمه الله – بمعنى الرجّاع إلى الله عز وجل في جميع أموره وشئونه. يقول: إن داود رَجَّاع لما يكرهه الله إلى ما يرضيه.

قال الله تعالى: ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[3]، قوله ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ أي: رجاع إلى الله تعالى وطاعته عز وجل[4].

وقال الله تعالى: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾[5] قوله ﴿كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ مطيع رجاع إلى طاعته بالتسبيح، وقيل: أواب معه أي مسبح[6].

وقال الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[7] قوله ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ أي: رجاع إلى الله تعالى بالتوبة كما يشعر به السياق أو إلى التسبيح مرجع له أو إلى مرضاته عز وجل تعليل للمدح[8].

وقال الله تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[9] قوله ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ يقول: إنه على طاعة الله مقبل، وإلى رضاه رجَّاع[10].

وقال الله تعالى: ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾[11] قوله ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ يعني: لكل راجع من معصية الله إلى طاعته، تائب من ذنوبه[12].

---

(١) تفسير ابن كثير (٧ / ٥٧).

(٢) تفسير البغوي (٧ / ٧٦).

(٣) سورة ص، الآية: ١٧ .

(٤) تفسير الآلوسي (١٧/٣٠٥).

(٥) سورة ص، الآية: ١٩ .

(٦) تفسير البغوي (٧/٧٦).

(٧) سورة ص، الآية: ٣٠ .

(٨) تفسير الآلوسي (١٧/٣٢٩).

(٩) سورة ص، الآية: ٤٤ .

(١٠) تفسير الطبري (٢١/٢١٤).

(١١) سورة ق، الآية: ٣٢ .

(١٢) تفسير الطبري (٢٢/٣٦٤).

وقال الله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾[1] قوله ﴿كَانَ لِلْأَوَّابِينَ﴾ أي: الراجعين إليه تعالى التائبين عما فرط منهم مما لا يكاد يخلو منه البشر[2].

المطلب الثالث: الإنابة، مع ذكر الآيات الواردة فيها في القرآن الكريم.

الإنابة بمعنى: الرجوع إلى الله بالتوبة. وفي التنزيل العزيز: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾[3] أي راجعين إلى ما أمر به، وقوله عز وجل: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾[4] أي توبوا إليه وارجعوا[5]. وحقيقة الإنابة: الرجوع إلى الشيء بعد مفارقته وتركه[6]. وقال الخازن الإنابة: الرجوع إلى الله تعالى في جميع أموره[7].

قال الله تعالى: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾[8]. وقال الرازي: جاء وما جاء إلا بسبب إنابة في قلبه علم أنه لا مرجع إلا إلى الله فجاء بسبب قلبه المنيب، والقلب المنيب كالقلب السليم في قول سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّه بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[9]، أي سليم من الشرك، ومن سلم من الشرك يترك غير الله ويرجع إلى الله فكان منيباً، ومن أناب إلى الله برىء من الشرك فكان سليماً [10].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٥.

(٢) تفسير الآلوسي (١٠/٤٣٤).

(٣) سورة الروم، الآية: ٣١ و٣٣.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٥٤.

(٥) لسان العرب (١/٧٧٥).

(٦) التحرير والتنوير (١١ / ٢٩٩).

(٧) تفسير الخازن (٥/٣٣٠).

(٨) سورة ق، الآية: ٣٣.

(٩) سورة الصافات، الآية: ٨٤.

(١٠) تفسير الفخر الرازى (٢٨/١٥٠).

وروي عن أحمد بن حنبل ﵁ قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: قال: رسول الله ﷺ: "لا تمنوا الموت فإن هول المطلع شديد وإن من السعادة أن يطول عمر العبد ويرزقه الله الإنابة "[1]. الإنابة الرجوع إلى الخير.

الإنابة هي صفة من صفات الأولياء والمقربين، قال الله تعالى: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾[2]. مَن- المتقي- خاف الله وخشيه في الدنيا ولقيه يوم القيامة بقلب تائب من ذنوبه. وقوله ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ يقول: وجاء الله بقلب تائب من ذنوبه، راجع مما يكرهه الله إلى ما يرضيه[3]. وقال ابن الكثير- رحمه الله -: ولقي الله يوم القيامة بقلب سليم منيب إليه خاضع لديه[4].

ومن البين أن هذه التقسيمات- فمن تاب خوفا من العقوبة فهو صاحب التوبة وهي من صفة المؤمنين، ومن تاب طمعا بالمثوبة فهو صاحب الإنابة وهي من صفة الأولياء والمقربين، ومن تاب محبة في الله فهو صاحب الأوبة وهي من صفة الأنبياء، لا تضيف جديدا ولا تخرج عن المعنى اللغوي وهو الرجوع إلى الالتزام بأوامر الله واجتناب نواهيه.

وما عد في هذا التقسيم بداية الطرق هو الذي يدل بعمومه لشموله لجميع عباد الرحمان، يظهر هذا تأكيد المخاطبين ﴿جَمِيعًا﴾ ووصفهم بالإيمان وهو وصف شامل لجميع من اصطفاهم الله تعالى. وقوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[5] أي قبل توبته، أو وفقه للتوبة. وتاب العبد: رجع إلى طاعة ربه، وعبد تواب: كثير الرجوع إلى الطاعة وأصل التوبة الرجوع يقال: تاب وثاب وأب وأناب: رجع[6].

آيات الإنابة في القرآن الكريم.

---

(١) أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مسند أحمد بن حنبل، باب مسند جابر بن عبد الله ﵁، (٣ / ٣٣٢) رقم الحديث (١٤٦٠٤)، الناشر: مؤسسة قرطبة – القاهرة.

(٢) سورة ق، الآية: ٣٣.

(٣) تفسير الطبري (٢٢ / ٣٦٦).

(٤) تفسير ابن كثير (٧ / ٤٠٦).

(٥) سورة طه، الآية: ١٢٢.

(٦) تفسير القرطبي (١/٣٠١).

ذكرت آيات الإنابة في القرآن الكريم في ثمانية عشر موضعاً، منها: قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾[1] وهو قوله ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ يعني ويرشد إلى دينه والإيمان به من أناب بقلبه ورجع إليه بكليته[2].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3] وقوله: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أنابَ إِليَّ﴾ يقول: واسلك طريق من تاب من شركه، ورجع إلى الإسلام، واتبع محمدا صلى الله عليه وسلم[4].

وقال الله تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾[5]، وقوله ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ﴾ يقول: فسأل داود ربه غفران ذنبه ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ يقول: وخر ساجدا لله ﴿وَأَنَابَ﴾ يقول: ورجع إلى رضا ربه، وتاب من خطيئته[6].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾[7]، قوله ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ أي: ثم رجع إلى ملكه وسلطانه وأبهته[8].

وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾[9] وقوله: ﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾ يقول: وتابوا إلى الله ورجعوا إلى الإقرار بتوحيده، والعمل بطاعته، والبراءة مما سواه من الآلهة والأنداد[10].

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٧.

(٢) تفسير الخازن (٨٦/٣).

(٣) سورة لقمان، الآية: ١٥.

(٤) تفسير الطبري (١٣٩/٢٠).

(٥) سورة ص، الآية: ٢٤.

(٦) تفسير الطبري (٢١ / ١٨١).

(٧) سورة ص، الآية: ٣٤.

(٨) تفسير ابن كثير (٧ / ٦٦).

(٩) سورة الزمر، الآية: ١٧.

(١٠) تفسير الطبري (٢٧٣/٢١).

وقال الله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾[1]، قوله عز وجل: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾ أقبلوا وارجعوا إليه بالطاعة[2].

وقال الله تعالى: ﴿...وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[3]، وقوله: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾ يقول جلّ ثناؤه مخبرًا عن قيل إبراهيم وأنبيائه صلوات الله عليهم: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا﴾ يعني: وإليك رجعنا بالتوبة مما تكره إلى ما تحب وترضى ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ يقول: وإليك مصيرنا ومرجعنا يوم تبعثنا من قبورنا، وتحشرنا في القيامة إلى موقف العَرْض[4].

وقال الله تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[5]، وقوله ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ يقول: وإليه أرجع في أموري وأتوب من ذنوبي[6].

وقال الله تعالى: ﴿...وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[7]، وقوله: ﴿ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾، وإليه أقبل بالطاعة، وأرجع بالتوبة[8].

وقال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاء رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيبُ﴾[9]، قوله ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيبُ﴾ وما يتعظ وما يعتبر بآيات الله إلاّ من يتوب من الشرك ويرجع إلى الله، فإن المعاند لا سبيل إلى تذكره واتعاظه[10].

وقال الله تعالى: ﴿وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾[1] وهو قوله ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ يعني ويرشد إلى دينه والإيمان به من أناب بقلبه ورجع إليه بكليته[2].

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٥٤.

(٢) تفسير البغوي (١٢٨/٧).

(٣) سورة الممتحنة، الآية: ٤.

(٤) تفسير الطبري (٢٣ / ٣١٩).

(٥) سورة الشورى، الآية: ١٠.

(٦) تفسير الطبري (٢١ / ٥٠٦).

(٧) سورة هود، الآية: ٨٨.

(٨) تفسير الطبري (١٥ / ٤٥٤).

(٩) سورة غافر، الآية: ١٣.

(١٠) الكشاف (٦ / ٩٨).

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾[٣]، قوله ﴿مُّنِيبٌ﴾ أي: رَجَّاع إلى طاعته[٤].

وقال الله تعالى: ﴿...إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾[٥]، قوله ﴿لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ أي: راجع إلى ربه تعالى مطيع له جل شأنه لأن المنيب لا يخلو من النظر في آيات الله عز وجل والتفكر فيها[٦].

وقال الله تعالى: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾[٧]، قوله ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ يقول: لكل عبد رجع إلى الإيمان بالله، والعمل بطاعته[٨].

وقال الله تعالى: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ وَجَاء بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾[٩]، وقوله ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ يقول: وجاء الله بقلب تائب من ذنوبه، راجع مما يكرهه الله إلى ما يرضيه[١٠].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾[١١]، وقوله ﴿مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ يقول: تائبا إليه مما كان من قبل ذلك عليه من الكفر به، وإشراك الآلهة والأوثان به في عبادته، راجعا إلى طاعته[١٢].

وقال الله تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[١٣]، في قوله ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ قال: المنيب إلى الله: المطيع لله، الذي أناب إلى طاعة الله وأمره،

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١٣.

(٢) تفسير الخازن (٨٦/٤).

(٣) سورة هود، الآية: ٧٥.

(٤) تفسير الطبري (١٥ / ٤٠٦).

(٥) سورة سبأ، الآية: ٩.

(٦) تفسير الآلوسي (١٦ / ٢٦٢).

(٧) سورة ق، الآية: ٨.

(٨) تفسير الطبري (٢٢ / ٣٣٣).

(٩) سورة ق، الآية: ٣٣.

(١٠) تفسير الطبري (٢٢ / ٣٦٦).

(١١) سورة الزمر، الآية: ٨ .

(١٢) تفسير الطبري (٢٧٢/٢١).

(١٣) سورة الروم، الآية: ٣١ .

ورجع عن الأمور التي كان عليها قبل ذلك، كان القوم كفارا، فترعوا ورجعوا إلى الإسلام[1].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ...﴾[2]. قوله ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾، تائبين إليه من شركهم وكفرهم[3].

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ١٠٠).

(٢) سورة الروم، الآية: ٣٣.

(٣) تفسير الطبري (٢٠/١٠١).

المبحث الثالث: الذنوب وأقسامها ومحوها بالتوبة والاستغفار وفوائد التوبة والاستغفار.

المطلب الأول: تعريف الذنوب لغة واصطلاحا.

الذنب مأخوذ من كلمة: (ذنب) والذَّنْبُ: هو الإِثْمُ والجُرْمُ والمعصية، والجمعُ ذُنوبٌ، وذُنُوباتٌ جمعُ الجمع، وقد أَذْنَب الرَّجُل، وقوله عزّ وجلّ، على لسان موس عليه السلام: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فأخاف أن يقتلون﴾[1]، عَنَى بالذَّنْبِ قَتْلَ الرَّجُلِ الذي وَكَزَه موسى عليه السلام فقضَى عليه، وكان ذلك الرجلُ من آلِ فرعونَ[2].

وفي المعجم الوسيط الذنب هي: ارتكاب أمر غير مشروع[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "المعصية هي مخالفة الأمر الشرعي، فمن خالف أمر الله الذي أرسل به رسله، وأنزل به كتبه فقد عصى"[4].

وفي إحياء علوم الدين أن الذنب هي: عبارة عن كل ما هو مخلف لأمر الله تعالى ترك أو فعل[5].

ومن هنا نستطيع أن نقول بأن الذنوب هي: ترك المأمورات وفعل المحذورات أو ترك ما أوجب الله وفرض من كتابه أو على لسان رسوله ﷺ وارتكاب ما نهى الله ورسوله عنه، وعصيان الله ورسوله، بإنكار أحكام الله، وتجاوزه ما شرعه الله لعباده بتغييرها، أو تعطيل العمل بها، فمثوبة ذلك خالدا فيها، وله عذاب يخزيه ويهينه. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[6].

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ١٤.

(٢) لسان العرب (٣٨٩/١).

(٣) المعجم الوسيط (٣١٦).

(٤) مجموع الفتاوى (٨ / ٢٦٩).

(٥) إحياء علوم الدين (٢٠/٤)

(٦) سورة النساء، الآية: ١٤.

قال الطبري- رحمه الله -: يتجاوز فصُول طاعته التي جعلها تعالى فاصلة بينها وبين معصيته، إلى ما نهاه عنه من قسمة تركات موتاهم بين ورثتهم وغير ذلك من حدوده يدخله نارًا خالدًا فيه[1].

(١) تفسير الطبري (٨ / ٧١).

المطلب الثاني: أقسام الذنوب.

قسم علماء الإسلام قديما الذنوب إلى صغائر وكبائر، وقد كثر اختلاف الناس فيها فقال قائلون لا صغيرة ولا كبيرة بل كل مخالفة لله فهى كبيرة، وهذا ضعيف إذ قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾[1]، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: إذا اجتنبتم كبائر الآثام التي نهيتم عنها كفرنا عنكم صغائر الذنوب وأدخلناكم الجنة؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلا كَرِيمًا﴾[2]. وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾[3]. وقوله ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ﴾ يقول: الذين يبتعدون عن كبائر الإثم التي نهى الله عنها وحرمها عليهم فلا يقربونها، وذلك الشرك بالله، وما قد بيَّناه في قوله: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾، و﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾ وهي الزنا وما أشبهه، مما أوجب الله فيه حدّا[4]. وقال النبي ﷺ: كَانَ يَقُولُ "الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ" رواه مسلم من حديث أبى هريرة[5]، وفى لفظ آخر كفارات لما بينهن إلا الكبائر.

وقد قال النبي ﷺ فيما رواه عبـــد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه[6]، "الكبائر الإشراك بالله

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣١ .

(٢) تفسير ابن كثير (٢ / ٢٧١).

(٣) سورة النجم، الآية: ٣٢.

(٤) تفسير الطبري (٢٢ /٥٣٢).

(٥) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، بَاب الصَّلَوَاتِ الْخَمْسُ وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتُنِبَتْ الْكَبَائِرُ، (١٤٤/١)، رقم الحديث (٣٤٤).

(٦) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي يكنى أبا محمد وقيل أبو عبد الرحمن. أمه ريطة بنت منبه بن الحجاج السهمي. وكان أصغر من ابيه باثنتي عشرة سنة أسلم قبل أبيه وكان فاضلا عالما قرأ القرآن والكتب المتقدمة واستأذن النبي ﷺ في أن يكتب عنه فأذن له فقـــال: يا رسول الله أكتب ما أسمع في الرضا والغضب قال: "نعم فإني لا أقول إلا حقا" وتوفي عبد الله سنة

وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس"[1].

والنص على كبائر الذنوب يعني أن هناك ما يقبلها وهي صغائر الذنوب في المقابل، وإن كان لم يرد في القرآن الكريم لفظ (صغائر) مضافاً إلى الذنوب كما ورد لفظ (كبائر) في الآيتين، على أن ما جاء في آية سورة النجم فيه ما يدل على صغائر الذنوب، وذلك أن لفظ (اللمم)[2] في الآية الكريمة يراد به ما دون الكبائر، وهو قول الجمهور[3].

وقال ابن قيم الجوزية – رحمه الله –: «والصحيح قول الجمهور أن اللمم صغائر الذنوب»[4].

وقال ابن كثير – رحمه الله – اللمم من صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال[5].

من الكبائر التى ورد ذكرها في القرآن الكريم:

١ ـــ الشرك بالله سبحانه وهو أكبر الكبائر، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[6] .

٢- اليأس من رحمة الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[7].

٣- الأمان من مكر الله تعـــالى، قال الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا

=ثلاث وستين وقيل: سنة خمس وستين بمصر. وقيل: سنة سبع وستين بمكة. وقيل: توفي سنة خمس وخمسين بالطائف. وقيل: سنة ثمان وستين. وقيل: سنة ثلاث وسبعين. وكان عمره اثنتين وسبعين سنة. وقيل: اثنتان وتسعون سنة. انظر: أسد الغابة (٣/٣٤٥-٣٤٦).

(١) صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، بَاب الْيَمِينِ الْغَمُوسِ، ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ سورة النحل، الآية: ٩٤، (٦/٢٤٥٧)، رقم الحديث (٦٢٩٨).

(٢) اللَّمَمُ: مُقارَبَةُ الذنب، وقيل اللَّمَم ما دون الكبائر من الذنوب. وفي التنزيل العزيز: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ وأَلَمَّ الرجلُ: من اللَّمَمِ وهو صغار الذنوب. لسان العرب (١٢ / ٥٤٩).

(٣) من معالم الهدي القرآني في التوبة ص (١٢٨).

(٤) مدارج السالكين (١/٣١٧).

(٥) تفسير ابن كثير (٧ / ٤٦٠).

(٦) سورة المائدة، الآية: ٧٢ .

(٧) سورة يوسف، الآية: ٨٧.

الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[1].

٤- ومن جملة الذنوب الكبيرة عقوق الوالدين، حيث أطلق الله تعالى على عاق الوالدين بـــ ﴿جَبَاراً شقياً﴾[2].

٥- قتل النفس المؤمنة إلا في موارد الحق حيث قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا﴾[3].

٦ ـــ قذف المرأة الطاهرة بالزنا، كما يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[4].

٧ ـــ أكل مال اليتيم، قال الله تعالى في مورد عاقبة الذين يأكلون مال اليتيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[5].

٨- الفرار من الزحف، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[6].

٩- أكل الربا، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾[7].

١٠- السحر، والشعبذة، حيث قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾[8].

١١- الزنا، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾[9].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٩٩ .

(٢) سورة مريم، الآية: ٣٢ .

(٣) سورة النساء، الآية: ٩٣.

(٤) سورة النور، الآية: ٢٣.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٠.

(٦) سورة الأنفال، الآية: ١٦.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.

(٨) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

(٩) سورة الفرقان، الآيتان: ٦٨ – ٦٩.

١٢- الحلف الكاذب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١).

١٣- الخيانة عند غنائم الحرب، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾(٢).

١٤- منع الزكاة، حيث قال الله تعالى في مورد عاقبة مانع الزكاة: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾(٣).

١٥- الشهادة كذباً وكتمان شهادة الحق، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾(٤).

١٦- شرب الخمر، لأن الله سبحانه نهى عنها كما نهى عن عبادة الأوثان والأصنام. كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٥).

١٧- ترك الصلاة أو أحد الواجبات الإلهية الأخرى عمداً، قال الله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾(٦)، وقال رسول الله ﷺ: "لَا تَتْرُكْ الصَّلَاةَ مُتَعَمِّدًا فَإِنَّهُ مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ"(٧).

١٨و١٩- عدم الوفاء بالعهد، وقطع صلة الرحم: كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾(٨).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦١.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٣٥.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨٣.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٩٠.

(٦) سورة المدثر، الآية: ٤٢ ، ٤٣.

(٧) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، باب حَدِيثُ أُمِّ أَيْمَنَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-، (٤٥ /٣٥٧)، رقم الحديث (٢٧٣٦٤)، المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط٢، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م.

(٨) سورة الرعد، الآية: ٢٥.

وذهب أبو طالب المكي[1] إلى أنها سبع عشرة جمعها من الأخبار والآثار، وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهم:

أربع في القلب وهي الشرك بالله، والإصرار على معصيته، والقنوط من رحمته، والأمن من مكره، وأربع في اللسان وهي شهادة الزور، وقذف المحصن، والسحر، واليمين الغموس، وهي التي يحق بها باطلا أو يبطل بها حقا. وقيل هي التي يقتطع بها مال امرئ مسلم باطلا ولو سواكا من أراك سميت غموسا لأنها تغمس صاحبها في النار، وثلاث في البطن وهي شرب الخمر، والمسكر من كل شراب، وأكل مال اليتيم ظلما، وأكل الربا وهو يعلم، واثنتان في الفرج وهما الزنا، واللواط، واثنتان في اليدين وهما القتل، والسرقة، وواحدة في الرجلين وهو الفرار من الزحف أن يفر الواحد من اثنين والعشرة من العشرين، وواحدة في جميع الجسد وهو عقوق الوالدين وجملة عقوقهما أن يقسما عليه في حق فلا يبر قسمهما وإن سألاه حاجة فلا يعطيهما وإن يسباه فيضربهما ويجوعان فلا يطعمهما هذا كلام أبي طالب وهو قريب[2].

قال الإمام المحقق العلامة ابن قيم الجوزية -رحمه الله-:

الذنوب تنقسم إلى أربعة أقسام: مَلَكية، وشيطانية، وسَبعية، وبهيمية، ولا تخرج عن ذلك.

الذنوب الملكية: فالذنوب الملكية أن يتعاطى ما لا يصح له من صفات الربوبية، كالعظمة والكبرياء، والجبروت، والقهر، والعلوِّ، واستبعاد الخلق، ونحو ذلك. ويدخل في هذا الشرك بالرب تعالى، وهو نوعان: شرك به في أسمائه وصفاته وجعل آلهة أخرى معه

---

(١) الشيخ أبو طالب المكي، الإمام الزاهد العارف، شيخ الصوفية أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي، المكي المنشأ، العجمي الأصل. صاحب كتاب قوت القلوب في معاملة المحبوب المشهور في التصوف، الذي أخذ منه الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين. لأبي طالب أربعين حديثا بخطه، قد خرج فيها عن عبد الله بن جعفر بن فارس الأصبهاني إجازة، وفيها عن أبي زيد المروزي من صحيح البخاري، أولها: "الحمد لله كنه حمده بحمده". توفي في جمادى الآخرة سنة ٣٨٦ هـ. انظر: لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: دائرة المعرف النظامية – الهند، ط٣، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، (٣٠٠/٥).

(٢) الغزالي، الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (المتوفى ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، تحقيق، سيد عمران، دار الحديث، القاهرة، ط (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، (٢٣/٤).

وشرك في معاملته، وهذا الثانى قد لا يدخل النار، وإن أحبط العمل الذي أشرك فيه مع الله غيره.

وهذا القسم أعظم أنواع الذنوب ويدخل فيه القول على الله بلا علم في خلقه وأمره.

فمن كان من أهل هذه الذنوب، فقد نازع الله سبحانه في ربوبيته، وملكه، وجعل له نِدًّا. وهذا أعظم الذنوب عند الله، ولا ينفع معه عمل.

الذنوب الشيطانية: وأما الشيطانية: فالتشبه بالشيطان في الحسد والبغي، والغشِّ، والغلِّ، والخداع، والمكر والأمر بمعاصي الله، وتحسينها، والنهي عن طاعته، وتهجينها، والابتداع في دينه، والدعوة إلى البدع والضلال. وهذا النوع يلي النوع الأول في المفسدة، وكانت مفسدته دونه.

الذنوب السبعية: وأما السبعية: فذنوب العدوان، والغصب، وسفك الدماء، والتوثّب على الضعفاء والعاجزين، ويتولّد منها أنواع أذى النوع الإنساني والجرأة على الظلم والعدوان.

الذنوب البهيمية: وأما الذنوب البهيمية، فمثل الشره، والحرص على قضاء شهوة البطن، والفرج، ومنها يتولَّد الزنى والسرقة، وأكل أموال اليتامى، والبخل، والشحُّ، والجُبن، والهلع، والجزع، وغير ذلك.

وهذا القسم أكثر ذنوب الخلق لعجزهم عن الذنوب السبعية والملكية، ومنه يدخلون إلى سائر الأقسام. فهو يجرُّهم إليها بالزمام، فيدخلون منه إلى الذنوب السبعية، ثم إلى الشيطانية، ثم إلى منازعة الربوبية، والشرك في الوحدانية.

ومن تأمل هذا حقَّ التأمل تبين له أنَّ الذنوب دهليز الشرك والكفر ومنازعة الله ربوبيته[1].

---

(١) ابن القيم الجوزية، الإمام أبي عبد الله شمس الدين ابن القيم الجوزية، الداء والدواء، تحقيق، هاني الحج، المكتبة التوفيقية، (١٤٥- ١٤٦).

المطلب الثالث: أسباب ارتكاب الإنسان للذنوب.

إن السبب لنشوء الذنب عند الإنسان يرجع لثلاث قوى:

١ ــ القوة الشهوانية البهيمية.

٢ ــ القوة الغضبية السبعية.

٣ ــ القوة الوهمية الشيطانية.

القوة الشهوانية البهيمية: حيث تجر الإنسان إلى الإفراط في اللذات وتكون عاقبته الغرق في الفحشاء والمنكرات. ألا ترى أنه – تعالى – سمى الزنا فاحشة؛ والفاحشة هي كل ما اشتد قبحه من الذنوب فعلا أو قولا وكذا الفحشاء والفحش ومنه الكلام الفاحش ويطلق غالبا على الزنا فاحشة [١]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾[٢]، أي: ذنبًا عظيمًا[٣]،

وقوله تعالى: ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾[٤] المراد منه: المنع من تحصيل اللذات الشهوانيَّة. قال الله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ﴾[٥] في الزنا، أتيت أمرا قبيحا، فساد القوة الشهوانية هو الزنا واللواط والساحق وما أشبهها، وأخس هذه القوى الثلاثة: القوة الشهوانية، فلا جرم كان فسادها أخس أنواع الفساد، فلهذا السبب خص هذا العمل بالفاحشة والله أعلم بمراده[٦].

القوة الغضبية السبعية: وهذه القوة لها دور فعّال في طغيان غريزة الغضب عند الإنسان مما تؤدي به إلى الظلم والتعدي اللامحدود. فساد القوة الغضبية هو القتل والغضب وما يشبههما[٧]، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[٨]. أي: سجيتهم وخلقهم وطبعهم تقتضي الصفح والعفو عن الناس، ليس سجيتهم الانتقام من

---

(١) فتح الباري – ابن حجر – باب فضل من ترك الفواحش (١٢ / ١١٣).

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٢.

(٣) تفسير ابن كثير (٥ / ٧٢).

(٤) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٥.

(٦) تفسير الفخر الرازى (٩ / ٢٥٢).

(٧) المرجع السابق (٩ / ٢٥٢).

(٨) سورة الشورى، الآية: ٣٧.

الناس[1]. قال رسول الله ﷺ: "إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ"[2]. "إن الغضب من الشيطان" أي هو المحرك له الباعث عليه ليغوي الآدمي "وإن الشيطان"إبليس"خلق من النار" لأنه من الجان الذي قال الله تعالى فيهم: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾[3]. وكان إبليس اللعين أعبدهم فعصى فجعل شيطانا (وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم) أيها المؤمنون (فليتوضأ) ندبا[4].

القوة الوهمية الشيطانية: وهذه القوة تهيج حالة التكبر والاعتداء على حقوق الآخرين مما تدعوه إلى اقتراف الذنوب الكبيرة.

قوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾[5]، قال الرازي –رحمه الله – الحكمة في أن الله تعالى ذكر هذه الألفاظ الثلاثة لا أزيد ولا أنقص، وهو قوله: ﴿فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ هي أنه قد ثبت في العلوم العقلية أن الإنسان فيه قوى أربعة : قوة شهوانية بهيمية، وقوة غضبية سبعية، وقوة وهمية شيطانية، وقوة عقلية ملكية، والمقصود من جميع العبادات قهر القوى الثلاثة، أعني الشهوانية، والغضبية، والوهمية، فقوله ﴿فَلا رَفَثَ﴾ إشارة إلى قهر الشهوانية، وقوله: ﴿وَلا فُسُوقَ﴾ إشارة إلى قهر القوة الغضبية التي توجب التمرد والغضب، وقوله: ﴿وَلا جِدَالَ﴾ إشارة إلى القوة الوهمية التي تحمل الإنسان على الجدال في ذات الله، وصفاته، وأفعاله، وأحكامه، وأسمائه، وهي الباعثة للإنسان على منازعة الناس ومماراتهم، والمخاصمة معهم في كل شيء، فلما كان منشأ الشر محصوراً في هذه الأمور الثلاثة لا جرم قال: ﴿فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ أي فمن قصد

---

(١) تفسير ابن كثير (٧ / ٢١٠).

(٢) مسند أحمد بن حنبل، باب حديث عطية السعدي رضي الله عنه، (٤ / ٢٢٦) رقم الحديث (١٨٠١٤).

(٣) سورة الرحمن، الآية: ١٥.

(٤) المناوي، الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير، باب حرف الهمزة، ط٣، دار النشر / مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، (١ / ٦٠١).

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

معرفة الله ومحبته والاطلاع على نور جلاله، والانخراط في سلك الخواص من عباده، فلا يكون فيه هذه الأمور، وهذه أسرار نفسية هي المقصد الأقصى من هذه الآيات، فلا ينبغي أن يكون العاقل غافلاً عنها، ومن الله التوفيق في كل الأمور[1].

قال ابن القيم الجوزية في كتابه التفسير القيم[2]: أصول المعاصي كلها كبارها وصغارها ثلاثة، تعلق القلب بغير الله وطاعة القوة الغضبية، والقوة الشهوانية وهي الشرك والظلم والفواحش، فغاية التعلق بغير الله شرك، وإن يدعى معه إله آخر، وغاية طاعة القوة الغضبية القتل، وغاية القوة الشهوانية الزنا، ولهذا جمع الله سبحانه بين الثلاثة في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾[3].

وهناك ذنوب جديدة ظهرت في هذا الزمان، منها النظر إلى المواقع الإباحية والعري النساء والرجال على شواطيء البحار وممارسة الفواحش في الطرقات، والإفطار علناً أمام الناس في شهر رمضان.

ولقد أقرت بعض البرلمانات التشريعية في أوروبا وأمريكا جريمة اللواط والسحاق وجعلتها شريعة وسمحت لهم بالزواج وعقدت لهم القِران (عقد النكاح) وغيرها كثير....

---

(١) تفسير الفخر الرازى (٥ / ٣١٤).

(٢) ابن القيم الجوزية، اللإمام أبي عبد الله شمس الدين ابن القيم الجوزية، التفسير القيم لابن القيم الجوزية (٢ / ٦٩)، هذا التفسير قام بجمعه العلامة المحقق الشيخ محمد أويس الندوي.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٦٨.

المطلب الرابع: حكم الاستغفار وفضله.

لا خلاف بين الفقهاء أن الاستغفار مطلوب على سبيل الندب في أوقات كثيرة، ويكون واجبا عند التوبة من المعصية، وقد يحرم كالاستغفار للكافر لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾[1]. قال الطبري في تفسير هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾، وترك الدعاء والاستغفارله. ثم قال: إن إبراهيم عليه السلام لدعَّاء لربه، شاكٍ له، حليمٌ عمن سبَّه وناله بالمكروه[2]. قال الفخر الرازي: أن الاستغفار للكافر لا يجوز[3].

وقد أثنى الله على المستغفرين في هذه الآية بقوله تعالى: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾[4]. قال ابن كثير: في قوله تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾ دل على فضيلة الاستغفار وقت الأسحار[5].

وروي عن أنس بن مالك[6] رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: " يقول الله عز وجل إني لأهم بأهل الأرض عذابا فإذا نظرت إلى عمار بيوتي المتحابين في وإلى

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٤.

(٢) تفسير الطبري (١٤ / ٥٣٢).

(٣) تفسير الرازي (١١٣/١٦).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٧.

(٥) تفسير ابن كثير (٢ / ٢٣).

(٦) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار واسمه تيم الله ؛ بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة الأنصاري الخزرجي النجاري من بني عدي بن النجار.

خادم رسول الله ﷺ كان يتسمى به ويفتخر بذلك وكان يجتمع هو وأم عبد المطلب جدة النبي ﷺ واسمها: سلمى بنت عمرو بن زيد بن أسد بن خداش بن عامر في عامر بن غنم وكان يكنى : أبا حمزة كناه النبي ﷺ ببقلة

المستغفرين بالأسحار صرفت عنهم"[1]. وقول سبحانه تعالى أيضاً: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[2]. مدح ثان؛ أي يستغفرون من ذنوبهم، والسحر وقت يرجى فيه إجابة الدعاء[3]. وقد روي مسلم عن عائشة –رضي الله عنها – قالت: " ما رأيت النبي ﷺ منذ نزل عليه ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾[4]، يصلي صلاة إلا دعا – أو قال فيها –: سبحانك ربي وبحمدك، اللهم اغفرلي"[5]. وقد روى البخاري عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: " ما صلى رسول الله ﷺ صلاة بعد أنزلت عليه سورة النصر ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ إلا يقول "سبحان ربنا وبحمدك اللهم اغفرلي" [6]. وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفرلي". يتأول القرآن[7]. وأخرج الطبراني في

كان يجتنيها وأمه أم سليم بنت ملحان ويرد نسبها عند اسمها. وكان يخضب بالصفرة: وقيل: بالحناء وقيل بالورس وكان يخلق ذراعيه بخلوق للمعة بياض كانت به وكانت له ذؤابة فأراد أن يجزها فنهته أمه وقالت: كان النبي يمدها ويأخذ بها. وداعبه النبي ﷺ فقال له: "يا ذا الأذنين"، توفي عام ٩٣ هـ . انظر: أسد الغابة – (١ / ٢٩٥).

(١) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمان، فصل المشي إلى المسجد، (٣ / ٨٢)، رقم الحديث (٢٩٤٦)، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٠ هـ.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ١٨.

(٣) تفسير القرطبي (١٧ / ٣٥-٣٦).

(٤) سورة النصر، الآية: ١.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، بَاب مَا يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، (٢/٥٠) رقم الحديث (١١١٥) ولأحكام الشرعية الكبرى، باب ما يقول بعد التشهد، أبو محمد عبد الحق الإشبيلي، سنة الولادة ٥١٠هـ/ سنة الوفاة ٥٨١هـ، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، الناشر مكتبة الرشد، مكان النشر السعودية / الرياض، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، (٢ / ٢٨٠).

(٦) صحيح البخاري،كتاب المغازي، باب تفسير سورة النصر، ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾. (٤/ ١٩٠٠)، رقم الحديث (٤٦٨٣).

(٧) المرجع السابق، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب تفسير سورة النصر، ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾، (٤ / ١٩٠١)، رقم الحديث (٤٦٨٤).

الأوسط من حديث الزبير بن العوام أن رسول الله ﷺ قال: (من أحب أن تسره صحيفته فليكثر من الاستغفار)[1].

استغفر الله العظيم، هو دعاء به يتجاوز الله عن التقصير، ويمحو آثاره، ويستر عواره، وعزم من العبد على عدم الإصرار على المعاصي، والاستسلام للهوى وإخلاص العباد لله وحده. لذلك قال هود عليه السلام لقومه كما ذكر ذلك عنه الله – عزوجل-: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ﴾[2].

وقال نوح عليه السلام معددا فضائل الاستغفار لقومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾[3].

وقال الله تعالى على لسان نبينا محمد ﷺ: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾[4]. ويلاحظ أن الاستغفار في هذه الآيات ربط به جزاؤه ارتباط السبب بالمسبب، وجزم الجزاء في جواب الطلب .

---

(١) الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الأوسط، باب أول الكتاب (١ /٢٥٦)، رقم الحديث (٨٣٩)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهر، ١٤١٥هـ.

(٢) سورة هود، الآية: ٥٢.

(٣) سورة نوح، الآية: ١٠-١١-١٢.

(٤) سورة هود، الآية: ٣.

المطلب الخامس: فوائد التوبة والاستغفار.

من فوائد التوبة والاستغفار:

١- الاستجابة لأمر الله سبحانه وتعالى، وهما سبب لدخول الجنة، كقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١]. ﴿وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ أي ويدخلكم في الآخرة حدائق وبساتين ناضرة،تجري من تحت قصورها أنهار الجنة[٢].

٢- سبب من أسباب الرزق، كقوله تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾[٣]. أي: وآمركم (يأمركم) بالاستغفار من الذنوب السالفة والتوبة منها إلى الله عز وجل فيما يستقبلونه، وأن يستمروا على ذلك[٤]، ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا﴾ أي يمتعكم في هذه الدنيا بالمنافع الجليلة من سعة الرزق، ورغد العيس[٥].

٣- سبب في إبدال السيئات حسنات، كقوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٦].

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٨.

(٢) الصابوني، محمد علي الصابوني، (صفوة التفاسير) ط١، الناشر دار الكرآن الكريم، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (١٢٧٣/٣).

(٣) سورة هود، الآية: ٣.

(٤) تفسير ابن كثير (٤ / ٣٠٣).

(٥) صفوة التفاسير، (٤٧٦/٢).

(٦) سورة الفرقان، الآية: ٧٠.

﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ قال ابن كثير: هم المؤمنون، كانوا من قبل إيمانهم على السيئات، فرغب الله بهم عن ذلك فحوَّلهم إلى الحسنات، فأبدلهم مكان السيئات الحسنات[1].

٤- سبب لرفع الدرجات في الجنة، كقوله تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[2]. أي يعطيهم الأجر الكبير في الآخرة وهو الجنة[3].

٥- يدفع العقوبة والعذاب قبل وقوعهما كقوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾[4].

٦- سبب في تطهير القلوب، كقوله تعالى: ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَن يَشَاء وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[5].

٧- سبب في نزول الغيث، وزيادة القوة، والمال، والبنين، وإيتاء كل ذي فضل فضله، كقوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ﴾[6]. وقال الله تعالى أيضا: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾[7]. أي: ارجعوا إليه وارجعوا عما أنتم فيه وتوبوا إليه من قريب، فإنه من تاب إليه تاب عليه، ولو كان ذنبه مهما كانت في الكفر والشرك، وقوله: ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ أي: إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه، كثر الرزق عليكم، وأسقاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من

---

(١) تفسير ابن كثير (٦ / ١٢٧).

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٦.

(٣) صفوة التفاسير (٢٣٨/١).

(٤) سورة التوبة، الآية: ٧٤.

(٥) سورة التوبة، الآية: ١٥.

(٦) سورة هود، الآية: ٥٢.

(٧) سورة نوح، الآية: ١٠-١١-١٢.

بركات الأرض، وأنبت لكم الزرع، وَأَدَرَّ لكم الضرع، وأمدكم بأموال وبنين، أي: أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار، وخللها بالأنهار الجارية بينها[1]. وكل هذا دليل على الفوائد التوبة والاستغفار.

الفصل الثالث

قصص بعض التائبين في القرآن الكريم.

المبحث الأول: قصص التائبين من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

المطلب الأول: قصة توبة آدم عليه السلام.

المطلب الثاني: قصة توبة نوح عليه السلام.

المطلب الثالث: قصة توبة داود عليه السلام.

المطلب الرابع : قصة توبة سليمان عليه السلام.

المطلب الخامس: قصة توبة يونس عليه السلام.

المطلب السادس: قصة توبة النبي محمد ﷺ.

المبحث الثاني: قصة التائبين من أصحاب رسول الله ﷺ.

المطلب الأول: قصة توبة الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله في غزوة تبوك.

المطلب الثاني: قصة توبة ماعز الأسلمي من الزنا.

المطلب الثالث: قصة الغامدية من الزنا.

---

(١) تفسير ابن كثير (٨ / ٢٣٣).

الفصل الثالث: قصص بعض التائبين في القرآن الكريم.

المبحث الأول: قصص التائبين من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

المطلب الأول: قصة توبة آدم عليه السلام.

لما خلق الله آدم عليه السلام وفضله، أتم نعمته عليه، بأن خلق منه زوجة ليسكن إليها، ويستأنس بها، وأمرهما بسكنى الجنة، والأكل منها رغدا، أي: واسعا هنيئا، قال الله تعلى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾[1] أي: من أصناف الثمار والفواكه، وقال الله له: ﴿إِنَّ لَكَ أَلا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى﴾[2]. ﴿إِنَّ لَكَ أَلا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى﴾ إنما قرن بين الجوع والعُرْي؛ لأن الجوع ذُلّ الباطن، والعري ذُلّ الظاهر. ﴿وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى﴾ وهذان أيضًا متقابلان، فالظمأ: حر الباطن، وهو العطش. والضحى: حر الظاهر[3]. لأنه ليس في الجنة شمس وأهلها في ظل ممدود والمعنى أن الشبع والري والكسوة والسكن هي الأمور التي يدور عليها كفاف الإنسان. فذكر الله تعالى حصول هذه الأشياء في الجنة وإنه مكفي لا يحتاج إلى كفاية كاف ولا إلى كسب كاسب كما يحتاج ذلك أهل الدنيا[4].

قال الله تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[5] يعني للأكل قيل إنما وقع هذا النهي عن جنس الشجرة[6]، الله أعلم بها، وإنما نهاهما عنها امتحانا وابتلاء [أو لحكمة غير معلومة لنا] ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ دل على أن النهي للتحريم؛ لأنه رتب عليه

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٥.

(٢) سورة طه، الآية: ١١٩- ١١٨.

(٣) تفسير ابن كثير (٥ / ٣٢٠).

(٤) تفسير الخازن (٤ / ٣٨٣).

(٥) سورة البقرة، الآية: ٣٥.

(٦) تفسير الخازن (١ / ٣٠).

الظلم[1]. فلم يزل عدوهما إبليس يوسوس لهما ويزين لهما تناول ما نهيا عنه، حتى أزلهما، أي: حملهما على الزلل بتزيينه. قال الله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾[2]، وقال الله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ بالله ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾[3]. وطبعا صدق الأبوين وغلبت الشهوة في تلك الحال على العقل، فاغترا به وأطاعاه، فأخرجهما مما كانا فيه من النعيم والرغد، وأهبطوا إلى دار التعب والنصب والمجاهدة. ومن ثم ذهبا إلى الشجرة الملعونة أى المحرمة وأكلا منها أى من ثمارها وعند هذا بدت لهما سواءتهما أى ظهرت لهما عوراتهما المخفاة، و قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾[4]، أي: ظهرت عورة كل منهما بعد ما كانت مستورة، فصار للعري الباطن من التقوى في هذه الحال أثر في اللباس الظاهر، حتى انخلع فظهرت عوراتهما، ولما ظهرت عوراتهما خَجِلا وجَعَلا يخصفان على عوراتهما من أوراق شجر الجنة، ليستترا بذلك[5]. وفى هذا قال الله تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾[6]، فخاطبهما الله فقال ألم أنهاكما، عن الأكل من تلك الشجرة، وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو ظاهر، وفى هذا قال الله تعالى: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[7].

بعد أن، عصى آدم عليه السلام أمر ربه فغوى بأكله من ثمار الشجرة المحرمة كان لابد له من التوبة، وألهمه الله إليه التوبة والإنابة والاستغفار. قال الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ

---

(١) تفسير السعدي (١ / ٤٩).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢١.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٢.

(٥) تفسير السعدي (١ / ٢٨٥).

(٦) سورة طه، الآية: ١٢١.

(٧) سورة الأعراف، الآية: ٢٢.

كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[1]. قال الزمخشري: معنى تلقي الكلمات استقبالها بالأخذ والقبول والعمل بها حين علمها[2].

أما الكلمات التي تلقاها آدم فقد بينها الله عز وجل في قوله: ﴿قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[3]. فحينئذ مَنَّ اللّه عليهما بالتوبة وقبولها، فاعترفا بالذنب، وسألا من اللّه مغفرته فقالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ أي: قد فعلنا الذنب، الذي نهيتنا عنه، وأضررنا أنفسنا باقتراف الذنب، وقد فعلنا سبب الخسارة إن لم تغفر لنا، بمحو أثر الذنب وعقوبته، وترحمنا بقبول التوبة والمعافاة من أمثال هذه الخطايا[4].

الهبوط من الجنة:

بعد أن تاب الله على الأبوين أنزل لهما ما يغطى العورة المكشوفة وهو اللباس أي لباس يستر العورات، وهو لباس الضرورة، ولباس للزينة والتجمل، وهو من الكمال والتنعم، وفى هذا قال الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا﴾[5]، اعلم أن الله عز وجل لما أمر آدم وحواء بالهبوط إلى الأرض وجعلها مستقراً لهم أنزل عليهم كل ما يحتاجون إليه من مصالح الدين والدنيا، فكان مما أنزل عليهم اللباس الذي يحتاج إليه في الدين والدنيا، فأما منفعته في الدين فإنه يستر العورة وسترها شرط في صحة الصلاة، وأما منفعته في الدنيا فإنه يمنع الحر والبرد فامتنّ الله على عباده بأن أنزل عليهم لباساً يواري سوءاتهم، فقال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا﴾ يعني لباساً تسترون به عوراتكم[6]. وقال الله لهم: اهبطوا إلى الأرض، يعادي بعضكم بعضًا - أي آدم وحواء والشيطان- ولكم في الأرض استقرار وإقامة، وانتفاع بما فيها إلى وقت انتهاء آجالكم. قال الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٧.

(٢) الكشاف (١ / ٨٣).

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.

(٤) تفسير السعدي (١ / ٢٨٥).

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٢٦.

(٦) تفسير الخازن (٣ / ٩).

فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[1]. قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: أي: قرار وأرزاق وآجال ﴿إِلَى حِينٍ﴾ أي: إلى وقت مؤقت ومقدار معين، ثم تقوم القيامة[2].

المطلب الثاني: قصة توبة نوح عليه السلام.

تبدأ قصة سيدنا نوح عليه السلام عندما أمره الله عز وجل بأن يبني سفينة، كما جاء في الآية الكريمة قال الله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾[3]، ويأخذ فيها من كل حي اثنين وبعد أن صنعها بأمر الله عز وجل وفار التنور وجاء أمر الله عز وجل أمره رب العالمين، فقال له: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾[4].

فبنى نوح عليه السلام السفينة كما أمره الله عز وجل وهو لا يعلم في البداية أن ابنه سيعصي أمره ويرفض أن يركب في السفينة، ورب العالمين نبهه في الآية السابقة حين قال له عز وجل: ﴿وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾. وفي الآية التي تلتها حين قال عز وجل: ﴿إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ أي ﴿الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ سبحانه علام الغيوب يعلمنا ما لا نعلم ويمضي حكمه ثم نعلم ما يريدنا أن نعلم. وفار التنور وطفت السفينة على الماء،كما قال الله تعالى في الآية الكريمة: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾[5] ولكن ابنه عصى أمره، في قوله تعالى: ﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾[6] فرد عليه أبوه الرحيم لأنه يعلم بأمر الله تعالى أن من لم يركب في السفينة فهو من الظالمين، قال الله تعالى: ﴿قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٦.

(٢) تفسير ابن كثير (١ / ٢٣٦).

(٣) سورة هود، الآية: ٣٧.

(٤) سورة هود، الآية: ٤٠.

(٥) سورة هود، الآية: ٤٢.

(٦) سورة هود، الآية: ٤٣.

مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾[1]، فغرق ابنه وطبيعي جدا كأي أب حنون يخاف على ابنه من غضب الله تعالى، ثم دعا الله تعالى ليرحم ابنه، كما في قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾[2] رغم أن الله عز وجل نبهه في بداية الأمر كما أسلفنا وقال له: ﴿وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾[3] فأنزل عليه رب العالمين الآية في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[4]. **فحينئذ ندم نوح عليه السلام ندامة شديدة، على ما صدر منه، وطلب من الله تعالى المغفرة والرحمة،** في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾[5]. فبالمغفرة والرحمة ينجو العبد من أن يكون من الخاسرين، ودل هذا على أن نوحا عليه السلام، لم يكن عنده علم، بأن سؤاله لربه، في نجاة ابنه محرم، داخل في قوله ﴿وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾[6] بل تعارض عنده الأمران، وظن دخوله في قوله تعالى: ﴿وَأَهْلَكَ﴾[7].

---

(١) سورة هود، الآية: ٤٣.

(٢) سورة هود، الآية: ٤٥.

(٣) سورة هود، الآية: ٣٧.

(٤) سورة هود، الآية: ٤٦.

(٥) سورة هود، الآية: ٤٧.

(٦) سورة هود، الآية: ٣٧.

(٧) تفسير السعدي (١ / ٣٨٢).

المطلب الثالث: قصة توبة داود عليه السلام.

قال الله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ. إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ. إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ. قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ. فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾[1].

لما ذكر تعالى أنه آتى نبيه داود عليه السلام الفصل في الخطاب بين الناس، وكان معروفا بذلك مقصودا، ذكر تعالى نبأ خصمين اختصما عنده في قضية جعلهما اللّه فتنة لداود، وموعظة لخلل ارتكبه، فتاب اللّه عليه، وغفر له، وقيض له هذه القضية، فقال لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ﴾ فإنه نبأ عجيب ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا﴾ على داود ﴿الْمِحْرَابَ﴾ أي: محل عبادته من غير إذن ولا استئذان، ولم يدخلوا عليه من الباب، فلذلك لما دخلوا عليه بهذه الصورة، فزع منهم وخاف، فقالوا له: نحن ﴿خَصْمَانِ﴾ فلا تخف ﴿بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾ بالظلم، ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ أي: بالعدل، ولا تمل مع أحدنا ﴿وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾.

والمقصود من هذا، أن الخصمين قد عرف أن قصدهما الحق الواضح الصرف، وإذا كان ذلك، فسيقصان عليه نبأهما بالحق، فلم يشمئز نبي اللّه داود من وعظهما له، ولم

(١) سورة ص، الآية: ٢١ – ٢٥.

يؤنبهما[1]. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾.

ومحصل قصة توبة داود عليه السلام أنه كان يعبد الله عز وجل في محرابه – أي مسجده – فدخل عليه رجلان في غير وقت القضاء، وطلبا منه الحكم فيما بينهما من خصومة، فقال أحدهما: إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة، ولي نعجة واحدة، فأراد أن يضمها إلى نعاجه وغلبني في المكالمة.

فبادر داود عليه السلام بالحكم له دون أن يسمع حجة الآخر. وقد قال النبي ﷺ: "إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض لأحدهما حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول"[2].

وبعد أن حكم داود هذا الحكم وأيقن داود عليه السلام أننا فتنَّاه بهذه الخصومة، فاستغفر ربه، فخر ساجداً لله عز وجل تائباً إليه، في قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾[3] فغفر الله عز وجل له ذلك، وجعله الله من المقرَّبين عنده، وأعدّ له حسن المصير في الآخرة، فقال تعالى: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾[4]. وهذا الذنب الذي صدر من داود عليه السلام، لم يذكره اللّه لعدم الحاجة إلى ذكره، فالتعرض له من باب التكلف، وإنما الفائدة ما قصه اللّه علينا من لطفه به وتوبته وإنابته، وأنه ارتفع محله، فكان بعد التوبة أحسن منه قبلها[5]. وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ أي: وإن له يوم القيامة لقربة يقربه الله عز وجل بها وحسن مرجع وهو الدرجات العاليات في الجنة لتوبته وعدله التام في ملكه[6]. قال القرطبي في معنى ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ أي سجد ومعنى السجود أن داود سجد خاضعا لربه، معترفا بذنبه. تائبا من خطيئته؛ فإذا سجد أحد فيها فليسجد

---

(١) تفسير السعدي (١ / ٧١١).

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم مع تعليقات الذهبي في التلخيص، باب كتاب الأحكام (٤ / ١٠٥) رقم الحديث (٧٠٢٥). ومسند أحمد (١٤٣/٢)، رقم الحديث (٧٤٥).

(٣) سورة ص، الآية: ٢٤.

(٤) سورة ص، الآية: ٢٥.

(٥) تفسير السعدي (١ / ٧١١).

(٦) تفسير ابن كثير (٧ / ٦٢).

بهذه النية، فلعل الله أن يغفر له...، وسواء قلنا إن شرع من قبلنا شرع لنا أم لا؟ فإن هذا أمر مشروع في كل أمة لكل أحد[1]، والله أعلم.

المطلب الرابع: قصة توبة سليمان عليه السلام.

قال الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ * وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ * قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ * فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾[2].

لما أثنى الله تعالى على داود، وذكر ما جرى له ومنه، أثنى على ابنه سليمان – عليهما السلام – فقال الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ﴾ أي: أنعمنا به عليه، وأقررنا به عينه ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ﴾ سليمان عليه السلام فإنه اتصف بما يوجب المدح، وهو ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ أي: رجَّاع إلى اللّه في جميع أحواله، والإنابة، والمحبة والذكر والدعاء والتضرع، والاجتهاد في مرضاة اللّه، وتقديمها على كل شيء.

ولهذا، لما عرضت عليه الخيل الجياد السبق الصافنات أي: التي من وصفها الصفون، وهو رفع إحدى قوائمها عند الوقوف، وكان لها منظر رائق، وجمال معجب، خصوصا للمحتاج إليها كالملوك، فما زالت تعرض عليه حتى غابت الشمس في الحجاب، فألهته عن صلاة العصر وذكره.

فقال ندما على ما مضى منه، وتقربا إلى اللّه بما ألهاه عن ذكره، وتقديما لحب اللّه على حب غيره: ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾وضمن ﴿أَحْبَبْتُ﴾ معنى (آثرت) أي: آثرت حب الخير، الذي هو المال عموما، وفي هذا الموضع المراد الخيل ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى

---

(١) تفسير القرطبي (١٥ / ١٥٦-١٥٧).

(٢) سورة ص، الآية: ٣٠ – ٣٦.

تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾[1]. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ * قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾. ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ أي: ابتليناه واختبرناه بذهاب ملكه وانفصاله عنه بسبب خلل اقتضته الطبيعة البشرية، ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ أي: شيطانا قضى اللّه وقدر أن يجلس على كرسي ملكه، ويتصرف في الملك في مدة فتنة سليمان، ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾[2] سليمان عليه السلام إلى اللّه تعالى وتاب[3].

ذهب إليه المحققون أن سبب فتنته ما أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " قال سليمان بن داود عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة ـــ وفي رواية تسعين امرأة، وفي رواية مائة امرأة – تلد كل امرأة منهن غلاماً يقاتل في سبيل الله" فقيل له – وفي رواية قال له الملك: "قل إن شاء الله" فلم يقل. فطاف بهن فلم تلد منهن إلا امرأة واحدة نصف إنسان؛ فقال رسول الله ﷺ: "والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان دركاً لحاجته". وفي رواية ولقاتلوا في سبيل الله فرساناً أجمعون" [أجمعين][4]. فقد قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾[5].

هذا إرشاد من الله لرسوله صلوات الله وسلامه عليه، إلى الأدب فيما إذا عزم على شيء ليفعله في المستقبل، أن يرد ذلك إلى مشيئة الله عز وجل، علام الغيوب، الذي يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون[6].

---

(١) تفسير السعدي (١ /٧١٢).

(٢) سورة ص، الآية: ٣٤.

(٣) تفسير السعدي (١/٧١٣).

(٤) صحيح البخاري، كتب الجهاد والسير، باب من طلب الولد للجهاد، (١٠٣٨/٣) رقم الحديث (٢٦٦٤)، وصحيح مسلم، كتاب الأيمان، باب الإستثناء، (٨٨/٥)، رقم الحديث (٤٣٧٨)، وتفسير ابن كثير (٥ /١٤٩).

(٥) سورة الكهف، الآية: ٢٣ – ٢٤ .

(٦) تفسير ابن كثير (٥ / ١٤٨).

فقال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾[1]، فاستجاب اللّه له وغفر له، ورد عليه ملكه، وزاده ملكا لم يحصل لأحد من بعده، وهو تسخير الشياطين له، يبنون ما يريد، ويغوصون له في البحر، يستخرجون الدر والحلي، ومن عصاه منهم قرنه في الأصفاد وأوثقه[2]. والله أعلم.

المطلب الخامسة: قصة توبة يونس عليه السلام.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ * وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ * وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾[3].

وقال الله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾[4].

أرسل الله تعالى يونس بن مَتَّى عليه السلام، إلى قومه فدعاهم إلى الله تعالى فلم يؤمنوا وأصروا على كفرهم، فتوعَّدهم بالعذاب فلم ينيبوا، ولم يصبر عليهم كما أمره الله، وخرج مِن بينهم غاضبًا عليهم، ضائقًا صدره بعصيانهم، وظن أن الله لن يضيِّق عليه ويؤاخذه بهذه المخالفة، فابتلاه الله بشدة الضيق والحبس، والتقمه الحوت في البحر.

قال الله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾[5]. وقال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ، إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ، فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ، فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾[6]، أي: واذكر عبدنا ورسولنا ذا النون وهو: يونس بن متّى، أي: صاحب النون، وهو الحوت، بالذكر الجميل، والثناء الحسن، فإن الله

---

(١) سورة ص، الآية: ٣٥.

(٢) تفسير السعدي (١ / ٧١٢).

(٣) سورة الصافات، الآية: ١٣٩ – ١٤٨.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧ – ٨٨.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.

(٦) سورة الصافات، الآية: ١٣٩-١٤٢.

تعالى أرسله إلى قومه فدعاهم فلم يؤمنوا فوعدهم بنزول العذاب بأمد سماه لهم[1].

قال ابن كثير: إن الله بعثه - يونس عليه السلام إلى أهل قرية "نينوى"، وهي قرية من أرض الموصل، فدعاهم إلى الله، فأبوا عليه وتمادوا على كفرهم، فخرج من بين أظهرهم مغاضبا لهم، ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث، فلما تحققوا منه ذلك، وعلموا أن النبي لا يكذب، خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم، وفرقوا بين الأمهات وأولادها، ثم تضرعوا إلى الله عز وجل، وجأروا [ولجؤوا] إليه، ورغت الإبل وفُصْلانها، وخارت البقر وأولادها، وثغت الغنم وحُمْلانها[2]،[فجاءهم العذاب] ورأوه عيانا، فعجوا إلى الله، وضجوا وتابوا، فرفع الله عنهم العذاب، كما قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾[3]، وقال الله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾[4] وهذه الأمة العظيمة، الذين آمنوا بدعوة يونس، من أكبر فضائله.

ولكنه عليه الصلاة والسلام، ذهب مغاضبا، وأبق عن ربه لذنب من الذنوب، التي لم يذكرها الله لنا في كتابه، ولا حاجة لنا إلى تعيينها [لقوله: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ﴾ ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾[5] أي: فعل ما يلام عليه] والظاهر أنه عجلته ومغاضبته لقومه، وخروجه من بين أظهرهم قبل أن يأمره الله بذلك، ظن أن الله لا يقدر عليه، أي: يضيق عليه في بطن الحوت أو ظن أنه سيفوت الله تعالى، ولا مانع من عروض هذا الظن للكمل من الخلق على وجه لا يستقر، ولا يستمر عليه، فركب في السفينة مع أناس، فاقترعوا، من يلقون منهم في البحر؟ لما خافوا الغرق إن بقوا كلهم، فأصابت القرعة يونس، فالتقمه الحوت، وذهب به إلى ظلمات البحار، فنادى ربه في ظلمات الليل والبحر وبطن الحوت تائبًا معترفًا بظلمه؛ لتركه الصبر على قومه، قائلا: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من

---

(١) تفسير السعدي (١ / ٥٢٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٥ / ٣٦٦).

(٣) سورة يونس، الآية: ٩٨.

(٤) سورة الصافات، الآية: ١٤٧-١٤٨.

(٥) سورة الصافات، الآية: ١٤٠-١٤٢.

الظالمين. قال الله تعالى: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1]،

فأقر لله تعالى بكمال الألوهية، ونزهه عن كل نقص، وعيب وآفة، واعترف بظلم نفسه وجنايته، قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[2] ولهذا قال الله تعالى هنا: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾[3] أي الشدة التي وقع فيها ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾[4] وهذا وعد وبشارة لكل مؤمن وقع في شدة وغم أن الله تعالى سينجيه منها ويكشف عنه ويخفف لإيمانه كما فعل بـــ "يونس" عليه السلام[5]. والله أعلم.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.

(٢) سورة الصافات، الآية: ١٤٣-١٤٤.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٨٨.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٨٨.

(٥) تفسير السعدي (١ / ٥٢٩).

المطلب السادس: قصة توبة النبي محمد ﷺ.

لقد وفَّق الله نبيه محمدا ﷺ إلى الإنابة إليه وطاعته، وتاب الله على المهاجرين الذين هجروا ديارهم وعشيرتهم إلى دار الإسلام، وتاب على أنصار رسول الله ﷺ الذين خرجوا معه لقتال الأعداء في غزوة (تبوك) في حرٍّ شديد، وضيق من الزاد والظَّهْر، لقد تاب الله عليهم من بعد ما كاد يَميل قلوب بعضهم عن الحق، فيميلون إلى الدَّعة والسكون، لكن الله ثبتهم وقوَّاهم وتاب عليهم، إنه بهم رؤوف رحيم. ومن رحمته بهم أنْ مَنَّ عليهم بالتوبة، وقَبلَها منهم، وثبَّتهم عليها. قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[1].

قال الخازن في قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ الآية تابِ الله بمعنى تجاوز وصفح عن النبي محمد ﷺ والمهاجرين والأنصار، ومعنى توبته على النبي محمد ﷺ: عدم مؤاخذته بإذنه للمنافقين بالتخلف في غزوة تبوك وهي كقوله سبحانه وتعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾[2] فهو من باب ترك الأفضل لا أنه ذنب يوجب عقاباً. وقال أصحاب المعاني: هو مفتاح كلام للتبرك كقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾[3].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٧.

(٢) سورةالتوبة، الآية: ٤٣.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٤١.

قال الطبري في قوله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ مفتاحِ كلام، لله ما في السموات وما في الأرض، فجعل سهم الله وسهم الرسول واحدًا[1]. ومعنى هذا :أن ذكر النبي بالتوبة عليه تشريف للمهاجرين والأنصار في ضم توبتهم إلى توبة النبي محمد ﷺ كما ضم اسم الرسول إلى اسم الله في قوله ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ فهو تشريف له[2].

وقال ابن العربي[3]: «توبة الله على النبي ﷺ ردُّه من حالة الغفلة إلى حالة الذكر، وتوبة المهاجرين والأنصار رجوعهم من حالة المعصية إلى حالة الطاعة، وانتقالهم من حالة الكسل إلى حالة النشاط، وخروجهم عن صفة الإقامة والقعود إلى حالة السفر والجهاد»[4]. وقال القرطبي: «توبته عليهم أن تداركَ قلوبَهم حتى لم تَزِغْ، وكذلك سنة الحق مع أوليائه إذا أشرفوا على العطبِ ووطنوا أنفسهم على الهلاك، أمطر عليهم سحائب الجود فأحيا قلوبهم»[5].

وقد سُئل ابن تيمية- رحمه الله- عن معنى توبة النبي محمد ﷺ، والتوبة إنما تكون عن شيء يصدر من العبد، والنبي ﷺ معصوم من الكبائر والصغائر؟ فأجاب - رحمه الله تعالى-: بأن الأنبياء - عليهم صلوات الله وسلامه - معصومون من الإقرار على الذنوب كبارها وصغارها، وهم بما أخبر الله به عنهم من التوبة يرفع درجاتهم، ويعظم حسناتهم،

---

(١) زيادة من تفسير الطبري (١٣ / ٥٤٨).

(٢) تفسير الخازن (٣ / ٣٥٤).

(٣) **ابن العربي** هو القاضي أبو بكر بن العربي محمد بن عبد الله بن محمد الإشبيلي المالكي الحافظ عالم أهل الأندلس ومسندهم - وهو غير محي الدين بن عربي الصوفي - من حفاظ الحديث. ولد في إشبيلية سنة ٤٦٨ هـ، تأدّب ببلده وقرأ القراءات وسمع به من أبي عبد الله بن منظور وأبي محمد بن خزرج، ثم انتقل ورحل مع أبيه سنة ٤٨٥ هـ ودخل الشام فسمع من الفقيه نصر المقدسي وأبي الفضل بن الفرات وببغداد

من أبي طلحة النعالي وطراد وبمصر من الخلعي وتفقه على الغزالي و أبي بكر الشاشي و الطرطوشي ، له شهرة في علمه فقد أخذ جملة من الفنون حتى أتقن الفقه والأصول وقيد الحديث واتسع في الرواية وأتقن مسائل الخلاف والكلام وتبحّر في التفسير وبرع في الأدب والشعر. صنف كتباً في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ. وولي قضاء إشبيلية، ومات في فاس في ربيع الآخر سنة ٥٤٣ هـ، ودفن بها. قال عنه ابن بشكوال: هو الإمام الحافظ، ختام علماء الأندلس. انظر: ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تأليف: عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي سنة الولادة ١٠٣٢هـ/ سنة الوفاة ١٠٨٩هـ، تحقيق، عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط، الناشر: دار بن كثير سنة النشر ١٤٠٦هـ مكان النشر دمشق (١٤١/٤).

(٤) أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ٤٤٦).

(٥) تفسير القرطبي (٥٩٤/٨).

فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين[1].جاء عن عائشة[2]– رضي الله عنها- أنها قالت: "كان رسول الله ﷺ يكثر من قول: سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه"[3]. الحديث.

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما- قال: إنا كنا نعدُّ لرسول الله ﷺ: في المجلس الواحد يقول: "رب اغفر لي وتب عليَّ إنك أنت التواب الغفور" [الرحيم] مائة مرة [4].

وعن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "يا أيها الناس توبوا إلى الله، فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة"[5].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول "والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة"[6].

---

(١) الفتاوى لابن تيمية (٥١/١٥).

(٢) السيدة عائشة أم المؤمنين هي زوج رسول الله ﷺ وبنت صديقه وأحب الناس إليه أبي بكر الصديق وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية ولدت بعد المبعث بأربع سنين أو خمس وكانت وفاتها عام ٥٧ هـ على أصح، وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه. انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ط٤، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤٠٥هـ، (٤٣/٢). والإصابة في تمييز الصحابة- المؤلف: أحمد بن =علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، الناشر: دار الجيل – بيروت، ١٤١٢هـ، (٨ / ١٦).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، بَاب مَا يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، (٥٠/٢) رقم الحديث (١١١٦).

(٤) صحيح، أخرجه أحمد في المسند، باب مسند عبد الله بن عمر الخطاب، (٣٢/١٠) رقم الحديث (٤٤٩٦). والبخاري في الأدب المفرد ، باب سيد الاستغفار، (١/ ٢١٧) رقم الحديث (٦١٨) الأدب المفرد، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، ط٣، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت،١٤٠٩ هـ– ١٩٨٩م،. وأبوداود في السنن، الوتر، بَاب فِي الِاسْتِغْفَارِ، (٥٥٩/١) رقم الحديث (١٥١٨). والترمذي، في السنن، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، بَاب مَا يَقُولُ إِذَا قَامَ مِنْ الْمَجْلِسِ، (٤٩٤/٥) رقم الحديث (٣٤٣٤). وسنن النسائي الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، كتاب عمل اليوم والليل، باب كيف الاستغفار ،(١١٩/٦) رقم الحديث (١٠٢٩٢).

(٥) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، بَاب اسْتِحْبَابِ الِاسْتِغْفَارِ وَالِاسْتِكْثَارِ مِنْهُ، (٧٢/٨) رقم الحديث (٧٠٣٢).

(٦) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة، (٥ / ٢٣٢٤)، رقم الحديث (٥٩٤٨).

المستفاد من قصص التائبين من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

- تعريف الله سبحانه جميع المخاطبين في الكتاب الكريم بكيفية التوبة من الذنوب، وتنبيهه إياهم إلى موضع التوبة مما هم عليه من الذنوب.

- أن يشتغل الإنسان بالتوبة إلى الله تعالى في كل حين وآن.

- أن الأنبياء الله آدم، ونوح، وداود، وسليمان، ويونس ومحمد عليهم الصلاة السلام مع علو شأنهم لم يستغنوا عن التوبة، فالأولى بنا نحن البشر غير الأنبياء أن نسارع إليها.

- ظهور آثار أسماء الله الحسنى كالعفو والغفور والتواب والحليم لمن جاء تائبا.

- أن الله تعالى عرّف الإنسان وجوب التوبة وكونها مقبولة من الله إن كانت خالصة، وذلك إذا أذنب ذنبا صغيرا أو كبيرا، ثم ندم على ما صنع وعزم على أن لا يعود، فإن الله يتوب عليه.

- وفي القصص دعوة للتخلي عن سائر الذنوب، والندم عن كل ذنب سالف، وأن يعزم التائب على عدم العودة إلى الذنب نفسه، أو غيره في سائر العمر قبل الغرغرة.

- على المسلم إن لا يؤجل التوبة بل عليه أن يسارع إليها وإلى الاستغفار، كما عليه أن لا ييأس من قبول توبته، مهما عظم ذنبه ومهما كانت مكانته.

- وشبابنا اليوم يختبرون في دينهم كل يوم وكل ساعة، فتعرض عليهم مفاتن الدنيا ومغريات الذنوب والآثام، ووساوس[1] الشيطان الجني والإنسي، فيقع بعضهم أوكثير منهم في معصية الله تعالى، فمن حمى نفسه من شرب الخمر ومعاقبتها قد يقع في جريمة الزنا، أو المخدرات أو الرباء، عن علم بحرمتها أو عن جهالة بحكمها، فما على المسلم، إلا التوحه إلى سبحانه وتعالى، فإنه يقبل التوبة من عباده، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[2].

---

(١) الوسوسة هي الكلام الخفي المختلط حتى لا يكاد يفهم. (لسان العرب ٦/٢٥٤-٢٥٥).

(٢) سورة الشورى، الآية: ٢٥.

المبحث الثاني: قصة التائبين من أصحاب رسول الله ﷺ.

المطلب الأول: قصة توبة الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله في غزوة تبوك.

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[1]. قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ قيل: عن التوبة عن مجاهد وأبي مالك. وقال قتادة: عن غزوة تبوك. وحكي عن محمد بن زيد معنى ﴿خُلِّفُوا﴾ تركوا؛ لأن معنى خلفت فلانا تركته وفارقته قاعدا عما نهضت فيه. وقيل: ﴿خُلِّفُوا﴾ أي أرجئوا وأخروا عن المنافقين فلم يقض فيهم بشيء. وذلك أن المنافقين لم تقبل توبتهم، واعتذر أقوام فقبل عذرهم، وأخر النبي محمد ﷺ هؤلاء الثلاثة حتى نزل فيهم القرآن[2]. وهذا هو الصحيح لما رواه مسلم والبخاري وغيرهما. واللفظ لمسلم قال كعب: كنا خلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه؛ فبذلك قال الله عز وجل: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ وليس الذي ذكر الله مما خلفنا تخلفنا عن الغزو، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه[3]. وهذا الحديث فيه طول، هذا آخره. والثلاثة الذين خلفوا هم: كعب بن مالك الشاعر[4]،

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٨.

(٢) تفسير القرطبي (٨/٥٩٥).

(٣) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، تأليف: محمد بن فتوح الحميدي، باب أفراد البخاري (١/ ٢٧٦)، تحقيق: د. علي حسين البواب، ط٢، دار النشر / دار ابن حزم - لبنان/ بيروت، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م. وصحيح مسلم، كتاب التوبة، باب حَدِيثِ تَوْبَةِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَصَاحِبَيْهِ، (٨/١٠٥)، رقم الحديث (٧١٩٢).

(٤) أبي كعب عمرو بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعيد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج الأنصاري السلمي. ولد سنة ٢٦ قبل الهجرة، ويكنى أبا عبد الله. وقيل: أبا عبد الرحمن، أمه ليلى بنت زيد بن ثعلبة، من بني سلمة أيضاً. شهد العقبة الثانية، واختلف في شهوده بدراً، ولما قدم على رسول الله ﷺ المدينة آخى بين كعب وبين طلحة بن عبيد الله حين آخى بين المهاجرين والأنصار. كان أحد شعراء رسول الله ﷺ الذين كانوا يردون الأذى عنه، وكان مجوداً مطبوعاً قد غلب عليه في الجاهلية أمر الشعر، وعرف به ثم أسلم وشهد العقبة و لم يشهد بدراً وشهد أحداً والمشاهد كلها حاشا تبوك، فإنه تخلف عنها. وقد قيل: إنه شهد بدراً فالله تعالى أعلم. وهو أحد الثلاثة الأنصار الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، فتاب الله عليهم، وعذرهم، وغفر لهم،

ومرارة بن ربيعة العامري[1]، وهلال بن أمية الواقفي[2]، وكلهم من الأنصار، وقد خرج البخاري ومسلم حديثهم، فقال مسلم[3] عن كعب بن مالك قال: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط إلا في غزوة تبوك، غير أني قد تخلفت في غزوة بدر و لم يعاتب أحدا تخلف عنه، إنما خرج رسول الله ﷺ والمسلمون يريدون عير قريش، حتى

=ونزل القرآن المتلو في شانهم، قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾. سورة التوبة، الآية: ١١٨. وهم: كعب بن مالك الشاعر هذا، وهلال بن أمية ومرارة ابن ربيعة. وكان كعب بن مالك يوم أحد لبس لأمة النبي ﷺ وكانت صفراء ولبس النبي ﷺ لأمته فجرح كعب بن مالك أحد عشر جرحاً.

وتوفي كعب بن مالك في زمن معاوية سنة خمسين. وقيل سنة ثلاث وخمسين، وهو ابن سبع وسبعين وكان قد عمي وذهب بصره في آخر عمره. يعد في المدنيين. روى عنه جماعة من التابعين. انظر: الإستيعاب في معرفة الأصحاب – (١ / ٤١١) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر سنة الولادة / سنة الوفاة (٤٦٣) المعروف ابن عبد البر، بتصرف.

(١) مرارة بن ربعي بن عدي بن زيد بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس. ويقال ابن ربيع العمري الأنصاري. من بني عمرو بن عوف شهد بدراً وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وتاب الله عليهم ونزل القرآن في شأنهم. ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا..﴾ سورة التوبة الآية: ١١٨. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب(١ / ٤٣١) ابن عبد البر .

(٢) هلال بن أمية بن عامر بن قيس بن عبد الأعلم بن عامر بن كعب بن واقف – واسمه مالك – بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس الأنصاري الواقفي، شهد بدرا وأحدا . وكان قديم الإسلام كان يكسر أصنام بني واقف وكانت معه رايتهم يوم الفتح . وأمه أنيسة بنت هدم أخت كلثوم بن الهدم الذي نزل عليه النبي ﷺ لما قدم المدينة مهاجرا وهو الذي لاعن امرأته ورماها بشريك بن سحماء .

[شريك ابن السمحاء وهي أمه وأبوه عبدة بن معتب بن الجد بن العجلان بن حارثة ابن ضبيعة البلوي وهو صاحب اللعان. وهو الذي قذفه هلال بن أمية بامرأته قال هشام بن حسان عن ابن سيرين عن أنس: إنه أول من لاعن في الإسلام]. انظر: أسد الغابة – (٦٣١/٢)، وهو أحد الثلاثة الذي تخلفوا عن غزوة تبوك وهم: هلال هذا وكعب بن مالك ومرارة بن الربيع فأنزل الله عز و جل فيهم: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا...﴾ سورة التوبة الآية:١١٨. انظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة– (٣٨٠/٥-٣٨١).

(٣) هو إمام أهل الحديث مسلم بن الحجاج الإمام الحافظ حجة الإسلام أبو الحسين القشيري النيسابوري صاحب التصانيف وكنيته أبو الحسين. وله كتب كثيرة منها صحيحه المشهور، وكتاب العلل، وكتاب أوهام المحدثين وكتاب الجامع الكبير على الأبواب. يقال ولد سنة أربع ومائتين هـ وتوفي رحمه الله بنيسابوري سنة ٢٦١هـ ، عن خمس وخمسين سنة. انظر: تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي دراسة، وتحقيق: زكريا عميرات، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ١٤١٩ هـ– ١٩٩٨م،(١٢٥/٢). وكتاب الوفيات، أبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب سنة الولادة ٧٤٠هـ/ سنة الوفاة ١٢/ربيع الأول/ ٨٠٩هـ، (١٨٦/١).

جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس منها،

وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك: أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة، فغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً، واستقبل عدوا كثيرا فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فأخبرهم بوجهه الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ- يريد بذلك الديوان - قال كعب: فقل رجل يريد أن يتغيب، يظن أن ذلك سيخفى له ما لم يترل فيه وحي من الله تعالى، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، فأنا إليها أصعر[1] فتجهز إليها رسول الله ﷺ والمسلمون معه، وطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع و لم أقض شيئا، وأقول في نفسي: أنا قادر على ذلك إذا أردت فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس الجد، فأصبح رسول الله ﷺ غازيا والمسلمون معه و لم أقض من جهازي شيئا، ثم غدوت فرجعت و لم أقض شيئا، فلم يزل كذلك يتمادى بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو، فهممت أن أترحل فأدركهم، فيا ليتني فعلت، ثم لم يقدر ذلك لي، فطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ يحزنني أني لا أرى لي أسوة إلا رجلا مغموصاً[2] عليه في النفاق، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء، و لم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك: "ما فعل كعب بن مالك"؟ فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله، حبسه برداه والنظر في عطفيه[3]. فقال له معاذ بن جبل: بئس ما قلت والله يا رسول الله، ما علمنا

---

(١) أصعر أى أميل. انظر: شرح النووي على مسلم، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، ط٢، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٣٩٢هـ،(١٧ / ٨٩).

(٢) مغموصا أي متهما به.

(٣) عطفيه أى جانبيه وهو اشارة إلى إعجابه بنفسه ولباسه.

عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله ﷺ فبينما هو على ذلك رأى رجلاً مبيضا[1] يزول به السراب[2]، فقال رسول الله ﷺ: "كن أبا خيثمة"[3]، فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري، وهو الذي تصدق بصاع التمر حتى لمزه المنافقون. فقال كعب بن مالك: فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلاً من تبوك حضرني بثي، فطفقت أتذكر الكذب وأقول: بم أخرج من سخطه غداً، وأستعين على ذلك كل ذي رأي من أهلي، فلما قيل لي: إن رسول الله ﷺ قد أظل قادما زاح عني الباطل حتى عرفت أني لن أنجو منه بشيء أبدا، فأجمعت صدقه، وصبح رسول الله ﷺ قادماً، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المتخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلا، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله، حتى جئت فلما سلمت تبسم المغضب، ثم قال: " تعال" فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: "ما خلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك"؟ قال: قلت: يا رسول الله، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلا، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه[4] إني لأرجو فيه عقبى الله، والله ما كان لي عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك. قال رسول الله ﷺ: "أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك". فقمت وثار رجال[5] من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك أذنبت ذنبا قبل هذا لقد عجزت في ألا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما

---

(١) قوله (رجلا مبيضا) أي لابسا ثيابا بيضا ، انظر: لسان العرب مادة (بيض).

(٢) السراب أى يتحرك وينهض والسراب هو ما يظهر للانسان فى الهواجر فى البرارى كأنه ماء.

(٣) أبو خيثمة الأنصاري السلمي قال الواقدي: اسمه: عبد الله بن خيثمة، شهد أحدا وبقي إلى خلافة يزيد بن معاوية، انظر: الإصابة (٤/٥٤)، وتفسير القرطبي (٨/ ٥٩٦).

(٤) صدق تجد على فيه أي تغضب، وجد عليه في الغضب يجد وجدا، وجدة وموجدة ووجدانا: غضب، انظر: لسان العرب مادة (وجد).

(٥) قوله (ثاررجال) أي وثب. انظر: لسان العرب في مادة (وثر).

اعتذر به إليه المتخلفون، فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك قال: فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله ﷺ فأكذب نفسي. قال: ثم قلت لهم هل لقي هذا معي من أحد؟ قالوا: نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك. قال قلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن ربيعة العامري وهلال بن أمية الواقفي. قال: فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما أسوة؛ قال: فمضيت حين ذكروهما لى، قال: ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه. قال: فاجتنبنا الناس، وقال: وتغيروا لنا، حتى تنكرت لي في نفسي الأرض، فما هي بالأرض التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة؛ فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وآتى رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام أم لا؟، ثم أصلي قريبا منه وأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي وإذا التفت نحوه أعرض عني، حتى إذا طال ذلك علي من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة، وهو ابن عمي وأحب الناس إلي فسلمت عليه، فوالله ما رد علي السلام، فقلت له: يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمن أني أحب الله ورسوله؟، قال: فسكت، فعدت فناشدته فسكت، فعدت فناشدته فقال: الله ورسوله أعلم ففاضت عيناي، وتوليت حتى تسورت الجدار، فبينا أنا أمشي في سوق المدينة إذا نبطيٌ من نبط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ قال: فطفق الناس يشيرون له إلي حتى جاءني فدفع إلي كتابا من ملك غسان، وكنت كاتباً فقرأته فإذا فيه:

أما بعد فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك. قال فقلت، حين قرأتها: وهذه أيضا من البلاء فتيممت بها التنور فسجرته بها[1] حتى إذا مضت أربعون من الخمسين واستلبث الوحي[2] إذا رسول رسول

---

(١) هكذا هو فى جميع النسخ ببلادنا وهى لغة فى تيممت ومعناهما قصدت ومعنى سجرتها أى أحرقتها وأنث الضميرلأنه أراد معنى الكتاب وهو الصحيفة.

(٢) (واستلبث الوحى) أى أبطأ.

الله ﷺ يأتيني فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك. قال فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل اعتزلها فلا تقربنها. قال: فأرسل إلى صاحبيّ بمثل ذلك. قال فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك، فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر. قال: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت له: يا رسول الله، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ قال: "لا ولكن لا يقربنك" فقالت: إنه والله ما به حركة إلى شيء ووالله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا. قال: فقال بعض أهلي لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه. قال فقلت: لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ وما يدريني ماذا يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب قال: فلبثت بذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهي عن كلامنا.

قال: ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله منا قد ضاقت عليّ نفسي وضاقت عليّ الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على سلع[1] يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر. قال: فخررت ساجدا، وعرفت أن قد جاء فرج. قال: فآذن رسول الله ﷺ الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، فذهب قبل صاحبي مبشرون، وركض رجل إلي فرسا، وسعى ساع من أسلم قبلي وأوفى الجبل، فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبيّ فكسوته إياهما ببشارته، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، فانطلقت أتأمم رسول الله ﷺ؛ فتلقاني الناس فوجا فوجا، يهنئونني بالتوبة ويقولون: لتهنئك توبة الله عليك، حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس في المسجد وحوله الناس، فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره. قال: فكان كعب لا ينساها لطلحة. قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال وهو يبرق وجهه من السرور ويقول: "أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك". قال: فقلت أمن عند الله يا

(١) أى صعده وارتفع عليه وسلع بفتح السين المهملة واسكان اللام وهو جبل بالمدينة معروف.

رسول الله أم من عندك؟ قال: "لا بل من عند الله". وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه حتى كأن وجهه قطعة قمر. قال: وكنا نعرف ذلك. قال: فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبة الله علي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله؛ فقال رسول الله ﷺ: " أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك". قال فقلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر. قال وقلت: يا رسول الله، إن الله إنما أنجاني بالصدق، وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقا ما بقيت. قال: فوالله ما علمت أحدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا أحسن مما أبلاني الله به، والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا وإني لأرجو الله أن يحفظني فيما بقي، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ - حتى بلغ - إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ * وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ - حتى بلغ - اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[1].

قال كعب رضي الله عنه: والله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد إذ هداني الله للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ ألا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا، إن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد، وقال الله تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ. يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[2]. قال كعب: كنا خلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال الله عز وجل: ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ﴾ وليس الذي ذكر الله مما

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٧ – ١١٨.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٩٥ – ٩٦.

خُلفنا تَخَلُّفنا عن الغزو، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه[1].

قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾[2] أي بما اتسعت، يقال: منزل رحب ورحيب ورحاب. و﴿مَا﴾ مصدرية؛ أي ضاقت عليهم الأرض برحبها، لأنهم كانوا مهجورين لا يعاملون ولا يكلمون. وفي هذا دليل على هجران أهل المعاصي حتى يتوبوا. وقال الله تعالى: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ أي ضاقت صدورهم بالهم والوحشة، وبما لقوه من الصحابة من الجفوة. ﴿وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾[3] أي تيقنوا أن لا ملجأ يلجؤون إليه في الصفح عنهم وقبول التوبة منهم إلا إليه.

قال أبو بكر الوراق[4]: التوبة النصوح أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت، وتضيق عليه نفسه؛ كتوبة كعب وصاحبيه، قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[5] فبدأ بالتوبة منه، وفَّقهم الله سبحانه وتعالى إلى الطاعة والرجوع إلى ما يرضيه سبحانه، إن الله هو التواب على عباده، الرحيم بهم، وفي هذه الآيات دليل على أن توبة اللّه على العبد أجل الغايات، وأعلى النهايات، فإن اللّه جعلها نهاية خواص عباده، وامتن عليهم بها، حين عملوا الأعمال التي يحبها ويرضاها.

ومن الدروس المستفادة من هذه القصة ما يلي:

١. لطف الله بهم وتثبيتهم في إيمانهم عند الشدائد والنوازل المزعجة.

---

(١) الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك، (٨ /١٠٥)، رقم الحديث (٧١٩٢). وصحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، وقوله عزوجل ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾، (٤ / ١٦٠٣)، رقم الحديث (٤١٥٦).

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٨.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١١٨.

(٤) أبو بكر محمد بن عمر الورّاق الترمذي ويلقب بـــ "الحكيم"، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري، أصله من ترمذ وسكن بلخ، وصحب أحمد بن خضرويه ومحمد بن سعد بن إبراهيم الزاهد ومحمد بن عمر بن خشنام البلخي. له كتب مشهورة في التصوف والمعاملات والأدب وقد أسند الحديث. توفي عام ٢٤٠ هـــ. انظر، طبقات الصوفية، تأليف: أبو عبد الرحمن السلمي، دار الكتب العلمية، ط ٢٠٠٣م، (١٧٨-١٨٣).

(٥) سورة التوبة، الآية: ١١٨.

٢. أن من لطف اللّه بالثلاثة، أن وسمهم بوسم، ليس بعار عليهم فقال: ﴿خُلِّفُوا﴾ إشارة إلى أن المؤمنين [وبما أمر اللّه بالإيمان به، قوموا بما يقتضيه الإيمان، وهو القيام بتقوى اللّه تعالى، باجتناب ما نهى اللّه عنه والبعد عنه] خلفوهم، [أو خلفوا عن من بُتّ في قبول عذرهم، أو في رده] وأنهم لم يكن تخلفهم رغبة عن الخير، ولهذا لم يقل: "تخلفوا".

٣. أن العبادة الشاقة على النفس، لها فضل ومزية ليست لغيرها، وكلما عظمت المشقة عظم الأجر.

٤. أن توبة اللّه على عبده بحسب ندمه وأسفه الشديد، وأن من لا يبالي بالذنب ولا يحرج إذا فعله، فإن توبته مدخولة، وإن زعم أنها مقبولة.

٥. أن علامة الخير وزوال الشدة، إذا تعلق القلب بالله تعالى تعلقا تاما، وانقطع عن المخلوقين[1].

---

(١) تفسير السعدي (١ / ٣٥٤).

المطلب الثاني: قصة توبة ماعز الأسلمي من الزنا.

لم يحصل في عصره ﷺ إقامة حد الزنى إلا عن طريق الإقرار وذلك في حادثتين اثنتين هما: حادثة ماعز، وحادثة الغامدية وإليك بيانهما.

روي أن (ماعز بن مالك الأسلمي) كان غلاماً يتيماً في حجر (هزال بن نعيم) فزنى بجارية من الحي فأمره هزال أن يأتي النبي محمد ﷺ ويخبره بما صنع لعله يستغفر له، فجاء النبي ﷺ وهو في المسجد فناداه: يا رسول الله (إني زنيت فأعرض عنه النبي ﷺ وقال له: ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه، فتنحّى لشق وجهه الذي أعرض قبله فقال (إني زنيت) فأعرض عنه النبي ﷺ فتنحّى لشق وجهه الذي أعرض قبله فقال (طهرني يا رسول الله فقد زنيت) فقال له أبو بكر الصديق: لو أقررت الرابعة لرجمك رسول الله ﷺ ولكنه أبى فقال يا رسول الله (زنيت فطهرني).

فقال له رسول الله ﷺ: "لعلك قبّلتَ أو غمزتَ أو نظرتَ" قال لا، فسأله رسول الله باللفظ الصريح الذي معناه (الجماع) فقال نعم، قال: حتى غاب ذلك منك في ذلك منها؟ قال: نعم، قال كما يغيب الميل في المكحلة والرشاة في البئر؟ قال: نعم، فسأله النبي هل تدري ما الزنى؟ قال: نعم أتيت منها حراماً ما يأتي الرجل أهله حلالاً، قال: فما تريد بهذا القول: قال إني أريد أن تطهرني فأمر النبي ﷺ به فرجم، فلما أحسّ مسّ الحجارة صرخ بالناس: يا قوم ردوني إلى رسول الله فإن قومي قتلوني وغرُّوني من نفسي وأخبروني أن رسول الله غير قاتلي، ولكن ضربوه حتى مات فذكروا فراره لرسول الله ﷺ فقال هلا تركتموه لعله أن يتوب فيتوب الله عليه وسمع الرسول بعض الصحابة يتكلم عنه ويقول: لقد رجم الكلاب، فغضب وقال: "لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم" وفي رواية أخرى : "والذي نفسي بيده أنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها"[1].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب الرجم بالمصلى (٢٥٠٠/٦) رقم الحديث (٦٤٣٤). وصحيح مسلم، كتاب الحدود، باب من اعتراف على نفسه بالزنى، (١٩/٠٥) رقم الحديث (٤٥٢٧)، وأبو داود، كتاب الحدود، باب الْمَرْأَةِ الَّتِى أَمَرَ النَّبِىُّ ﷺ بِرَجْمِهَا مِنْ جُهَيْنَةَ، (٢٩٥/٤) رقم الحديث (٤٤٤٤). والترمذي، وانظر: جمع الفوائد (٢ / ٣٣٢- ٣٣٣) باب حد الزنا في الحر والعبد والمكره والمجنون والشبهة وبمَحرم. جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزَّوائِد، المؤلف: محمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي بن طاهر السوسي

المطلب الثالث: قصة توبة الغامدية من الزنا.

كانت الغامدية صحابية جليلة وكانت متزوجة من صحابي وتعيش في المدينة المنورة، وتتربى على يد رسول الله ﷺ. روى مسلم في صحيحه أن امرأة تسمى (الغامدية) جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله (إني زنيت فطهرني) فردها النبي ﷺ فلما كان من الغد قالت: يا رسول الله لم تردني؟ لعلك تردني كما رددت ماعزاً؟ فوالله إني حبلى، فقال: أما الآن فاذهبي حتى تلدي، فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة، قالت: هذا قد ولدته، قال: فاذهبي فارضعيه حتى تفطيمه، فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز، فقالت: هذا يا نبي الله قد فطمته وقد أكل الطعام فدفع الصبيّ إلى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها وأمر الناس فرجموها، فنضح الدم على وجه (خالد بن الوليد) فسبها، فسمعه ﷺ فقال: "مهلا يا خالد فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغُفِر له، ثم أمر بها فصلي عليها ودفنت[1].

جاء ماعز بن مالك إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، طهرني، فقال: "ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه فرجع غير بعيد ثم جاء فقال يا رسول الله طهرني إلى آخره"، ومثله في حديث الغامدية قالت: طهرني، قال: "ويحك ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه". هذا دليل على أن الحد يكفر ذنب المعصية التي حد لها، وقد جاء ذلك صريحا في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه وهو قوله ﷺ: "ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة"[2]. وفي هذا الحديث دليل على سقوط إثم المعاصي الكبائر بالتوبة وهو بإجماع المسلمين، فإن قيل فما بال ماعز والغامدية لم يقنعا بالتوبة وهي محصلة لغرضهما وهو سقوط الإثم، بل أصرا على الإقرار واختارا الرجم.

=الردواني المغربي المالكي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، تحقيق وتخريج: أبو علي سليمان بن دريع، ط١، الناشر: مكتبة ابن كثير، الكويت - دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.

(١) صحيح مسلم، كتاب الحدود، بَاب مَنْ اعْتَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ بِالزِّنَى، (٥/١٢٠)، رقم الحديث (٤٥٢٨).

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة وبيعة العقبة، (١٢ / ٢٧٩) رقم الحديث (٣٦٠٣).

فالجواب أن تحصيل البراءة بالحدود وسقوط الإثم متيقن على كل حال لا سيما وإقامة الحد بأمر النبي ﷺ وأما التوبة فيخاف أن لا تكون نصوحا، وأن يخل بشيء من شروطها فتبقى المعصية وإثمها دائما عليه، فأرادا حصول البراءة بطريق متيقن دون ما يتطرق إليه احتمال، والله أعلم[1].

وهذه هي توبة العصاة في جيل الرسول ﷺ حيث قال: " لقد تابت توبة، لو قُسّمت بين سبعين من أهل المدينة لوسِعَتْهُم"، وهل وجدتَ توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى، إنه تعظيم للجناية، لقد عظمت -رضي الله عنها- الجناية كما عظمها الله وصدقت في توبتها فشهد لها رسول الله بهذه الشهادة العظيمة إنه مثل عظيم في التوبة يستحي منه الغافلون، مثل عظيم في التوبة يستيقظ منه النائمون.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[2].

ومن الدروس المستفادة من هذه القصة ما يلي:

١. إن الكبيرة حمل ثقيل لا يستطيع أن يتحمل وزرها المؤمن، ولا بد له من التوبة النصوح منه.

٢. إن الشريعة الإسلامية ليست هدفها الانتقام من الناس وإنما الستر والمرحمة، ولهذا كان النبي ﷺ يعرض عن الاستماع لماعز والغامدية. والله أعلم.

---

(١) شرح النووي على مسلم، كتاب الحدود، باب حد الزنى، قوله ﷺ (خذوا عني خذوا عني فقد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم) (١١ / ١٩٩).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.

خاتمة البحث

إن من النتائج التي يمكن استخلاصها من بحث آيات التوبة في القرآن الكريم، ما يلي:

١- إن التوبة من ألزم اللوازم لكل من خلق الله تعالى، لا تنفك عنهم لحظة، ولا يغفلوا عنها خطرة، والتوبة الخالصة أوجبها الله على عباده، منذ أن خلق البشرية، حتى يرث الأرض ومن عليها، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

٢- إن الله يغفر الذنوب جميعاً، ويقبل التائبين، ويقيل عثرات المذنبين، وقد قص لنا القرآن الكريم أحوال التائبين من الأنبياء كتوبة نبي الله آدم عليه السلام، ونبي الله نوح عليه السلام، ونبي الله داود عليه السلام، ونبي الله سليمان عليه السلام، ونبي الله يونس عليه السلام، ونبي الله محمد ﷺ. وكتوبة أصحاب الرسول لله ﷺ، والذين تخلفوا عنه في غزوة العسرة، وصدقوا في توبتهم وندموا على تخلفهم حتى ضاقت عليهم أنفسهم، فقبل الله توبتهم رضي الله عنهم.

٣- التوبة التي يريدها الله منَّا، ويقبلها عنَّا، ويغفر بها لنا هي التوبةُ النصوح، التوبة الصادقة المخلصة التي يُبتغى بها رضا الله سبحانه. توبة يرافقها العزمُ الأكيد على تَجنُّب الخطايا والذنوب، توبة يُصاحبها العمل المخلص، والعبادة الخالصة لله سبحانه، توبة تُحدِث تغيراتٍ في حياة المسلم، فتنقله إلى حياة الإيمان والعمل الصالح. توبة مكملة الشروط مؤداة فيها حق الله وحق العباد، وشروطها:

١- الإقلاع عن المعصية.

٢- الندم على فعلها.

٣- العزم أن لا يعود إليها أبداً،

---

(١) سورة النور، الآية: ٣١.

٤- أما الحقوق المادية وهذه لابد من إرجاعها إلى أصحابها أو استحلالها منهم بعد إعلامهم بها.

٥- وأما جريمة القتل وهي التوبة بشروطها وتسليم نفسه للدولة للقصاص منه أو تنازل ولي الدم عن ذلك الحق وأخذ الدية بدلاً من القصاص.

٦- أما الحقوق المعنوية كالقدح في عرض أحد، أو الكذب عليه وتقويله ما لم يقل، وقد اختلف الفقهاء في ضرورة إعلامه بنوع المخالفة والعدوان لاستحلاله منه. فالمعروف عن أبي حنيفة والشافعي ومالك — رحمهم الله - ورواية عن أحمد أنهم يشترطون إعلام المعتدى عليه. والرأي الثاني لأحمد وهو اختيار ابن تيمية لا يشتطر إعلامه لأن ذلك يؤدي إلى عداء يجري إلى مفاسد أكثر.

هناك بعض المقترحات والتوصيات أكتفي ببعضها منها:

أولا: إن علوم القرآن الكريم بوجه عام تتطلب مزيداً من البحث والاستقصاء، لذا أقترح إنشاء (كليات علوم القرآن) — في بلدنا المحبوبة - تعني بهذه الدراسات علي وجه السعة والشمول، وخاصة فيما يتعلق في التفسير الموضوعي.

ثانيا: إثراء المكتبة بالعلوم القرآنية ، وتوفير الكتب المطبوعة وتترجم إلى لغتنا المحلية ليسهل على أبناء أندونيسيا فهم القرآن الكريم وتفسيره، وخاصة في مثل هذا البحث.

ثالثا: عمل ندوات ومؤتمرات تخدم علوم القرآن لتيسير فهمها على المسلمين عامة والأندونيسين خاصة.

وأخيرا هذا جهد المقل قدمته بين يدي الباحثين والقرآء الكرام فإن كنت مصيبا فيما قيدته فذلك بفضل الله ولطفه، وإن كنت على العكس فإني أستغفر الله تعالى وأتضرع إليه أن يلهمني ما هو الأصوب والأقوم. كما أدعو الله تعالى أن يجعل ما بذلته من الجهد خالصا لوجهه الكريم وأن يثيبني ووالدي وأساتذتي وإخوتي وسائر المسلمين عليه جزيل الثواب، إنه كريم رحيم، سبحانك ربي لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس الآيات الكريمة

رقم الآية	الآيــة	رقم الصفحة

سورة البقرة

٣٥-٣٦ ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ...﴾..... ١٠٠،٩٨

٣٧ ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ ...﴾..... ٩٩،٦٨،٦٢،٥٦،٢١،٢٠،١٩،١

٥٤ ﴿.. فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ...﴾..... ٦٨،٦٦،٦٤،٦٢،٥٨،٥٦

٥٠ ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ ...﴾ ٣٤

١٠٢ ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ ٨٥

١٢٨ ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾..٦٦،٦٣،٦٢،٥٦،٢٢

١٦٠ ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ ...﴾ ..... ٦٥،٦٤،٦٣،٥٦

١٨٧ ﴿...فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ..﴾..... ٥٦

١٩٧ ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ..﴾ ٩٠

٢٢٢ ﴿...إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ ..... ٦٨،٥٩،٤٢

٢٧٥ ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ ..﴾ ٨٥

٢٧٩ ﴿...وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾..... ٦٥،٥٩

٢٨٣ ﴿...وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا ..﴾ ٨٦

سورة آل عمران

١٧ ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ ..﴾..... ٩٠

٨٩ ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ ..﴾..... ٥٩،٤٩،٦٤
٩٠ ﴿..ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ..﴾ ..... ٦٧،٥٩،٤٨
٧٧ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ ..﴾ ٨٦
١٢٨ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ ..﴾ ..... ٦٥،٥٦
١٣٥ ﴿...ومن يغفر الذنوب إلا الله ..﴾ ..... ١٢٥،٣٧،٢٩،٢١
١٣٦ ﴿أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ..﴾.....٣٧
١٦١ ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ..﴾..... ٨٦

سورة النساء

١٠ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ ..﴾ ٨٥
١٤ ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ..﴾..... ٨١
١٥ ﴿وَالّـــاتِى يَأْتِينَ الْفَـــاحِشَةَ .. ﴾..... ٨٩
١٦ ﴿...فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَا ..﴾..... ٦٧،٦٤،٦٣،٦٢،٥٩
١٧ ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ ..﴾٦٧،٦٦،٦٥،٥٩،٥٦
١٨ ﴿..قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ ..﴾..... ٦٧،٦٤،٥٩،٥١،٣٤
٢٦ ﴿..وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ٥٧
٢٧ ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ..﴾ ٥٧
٣١ ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ..﴾..... ٨٣،٤١
٤٨ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ..﴾ ٤٠
٦٤ ﴿...وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾..... ٦٣
٨٢ ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ...﴾..... ١٦
٩٢ ﴿..تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾..... ٦٧،٥٩
٩٣ ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا ...﴾..... ٨٥
١١٠ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَه ..﴾..... ٦٢
١٤٦ ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللَّهِ ...﴾..... ٩٦،٥٩

سورة المائدة

٣٤ ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ﴾..... ٦٠
٣٩ ﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ ..﴾ ..... ٤٨،٥٧،٦٠،٦٥
٥٤ ﴿..يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ..﴾..... ٢٠
٧١ ﴿وَحَسِبُواْ أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عليهم..﴾..... ٢٥،٥٧
٧٢ ﴿...إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ ..﴾..... ٨٤
٧٤ ﴿أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ..﴾..... ٢١،٢٥،٥٨،٦٦
٩٠ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ...﴾..... ٨٦

سورة الأنعام

٥٤ ﴿.. أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ .﴾..... ٦٠
١٥٥ ﴿وَهَـــذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾..... ١٦
١٥٨ ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ..﴾..... ٥٣

سورة الأعراف

٢٠ ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ ..﴾..... ٩٩
٢١ ﴿.. إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾..... ٩٩
٢٢ ﴿.. فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا ..﴾..... ٩٩
٢٣ ﴿قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ..﴾..... ١٠٠
٢٦ ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا ...﴾..... ١٠٠
٩٩ ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ ...﴾..... ٨٥
١٤٣ ﴿.. فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾..... ٥٨،٦٥
١٥٣ ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُواْ السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِهَا وَآمَنُواْ ..﴾..... ٦٠

سورة الأنفال

١٦ ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ ..﴾ ٨٥
٣٣ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ....﴾..... ٢٤
٣٨ ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ..﴾ ..... ٤٢،٤٥
٤١ ﴿... فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ ..﴾ ١١٠

سورة التوبة

٣ ﴿... فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ...﴾..... ٦٠،٦٥
٥ ﴿... فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ ...﴾ ٦٠
١١ ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ..﴾ ٦٠
١٥ ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَن يَشَاء ..﴾ ..... ٨،١١،٥٧،٩٦
٢٧ ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاء ..﴾ ٦٠
٣٥ ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ ..﴾ ٨٦
٧٤ ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ...﴾ ..... ٨،٦٠،٦٦،٩٦
٩٥-٩٦ ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ ..﴾ ١٢٠
١٠٢ ﴿...عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ٥٧
١٠٤ ﴿... أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ..﴾.. ١،٦٠،٦٢،٦٣
١٠٦ ﴿...إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ..﴾ ٥٧
١١٢ ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ ..﴾ ..... ٦٠،٦٧
١١٤ ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ ..﴾ ٩٠
١١٧ ﴿لَقَد تَّابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ ..﴾..... ٥٧،١١٠،١٢٠
١١٨ ﴿وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ﴾..١٢١،١١٤،٦٦،٦٣،٥٧
١٢٦ ﴿.. ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾..... ٦٠

سورة يونس

٩٠ -٩١ ﴿..قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ..﴾ .....٣٤،٥١،٥٢
٩١ ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾..... ٥١
٩٨ ﴿فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا ..﴾..... ١٠٨

سورة هود

١-٣ ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ..﴾ ٢٣
٣ ﴿ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا ..﴾ .....٨،٣١،٥٨،٦٦،٩٤،٩٥
٣٧ ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ...﴾..... ١٠١،١٠٢
٤٠ ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ...﴾..... ١٠١
٤٢ ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ ..﴾ ١٠١
٤٣ ﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء ...﴾..... ١٠١
٤٥ ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي ...﴾..... ١٠٢
٤٦ ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ...﴾..... ١٠٢
٤٧ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ ..﴾ ١٠٢
٥٢ ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ ..﴾ ..... ٨،١١،٢٤،٥٨،٩٤،٩٦
٦١ ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ ٥٨
٧٥ ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾..... ٧٨
٨٨ ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾..... ٧١
٩٠ ﴿وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾..... ٢٢،٥٨
١١٢ ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ..﴾ ٦٠
١١٤ ﴿... إن الحسنات يذهبن السيئـــات ..﴾ ٣٣

سورة يوسف

٨٧ ﴿... وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ..﴾ ٨٤

سورة الرعد

٦ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾..... ٥٤

٢٥ ﴿.. أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾..... ٨٦

٢٧ ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾.....٧٦

٣٠ ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾.....٦٨،٦٠

سورة النحل

٩٠ ﴿.. وينهى عَنِ الفحشاء ..﴾..... ٨٩

سورة الإسراء

٩ ﴿إِنَّ هَـــذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ..﴾ ..... ١٦،١٧

٢٥ ﴿.. إِن تَكُونُواْ صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾..... ٢٧،٤٧،٧٤

٣٢ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً ..﴾ ٨٩

سورة الكهف

٢٣-٢٤ ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾..... ١٠٦

سورة مريم

٣٢ ﴿... جباراً شقياً ...﴾ ٨٥

٦٠ ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ...﴾ ٦١

سورة طه

٨٢ ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ ...﴾ ..... ٥٠،٦١

١١٨-١١٩ ﴿إِنَّ لَكَ أَلا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى﴾..... ٩٨

١٢١ ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا ...﴾..... ٩٩

١٢٢ ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾..... ٥٧،٧٦

سورة الأنبياء

٤٧ ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ...﴾ ١٨
٨٧-٨٨ ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا ...﴾ ..... ١٠٧،١٠٨،١٠٩

سورة النور

٥ ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ...﴾..... ٦١،٦٤
١٠ ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾..... ٦٣
٢٣ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ ٨٥
٣١ ﴿... وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾..... ٧،٣٨،٥٨،٦٩،٧٠،١٢٦

سورة الفرقان

٣٣ ﴿وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ ١٣
٧٠ ﴿إِلا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا ...﴾..... ٨،٣٢،٥٠،٩٥
٦٨- ٦٩ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ...﴾ .....٨٥،٩٠
٧١ ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ ..... ٥٨،٦٢،٦٤،٦٨

سورة الشعراء

١٤ ﴿ولهم علَيَّ ذَنْبٌ فأخاف أن يقتلون﴾ ٨١

سورة القصص

٦٧ ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ ٦٤

سورة الروم

٣١ ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ ...﴾ ..... ٧٥،٧٩
٣٣ ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ...﴾ ..... ٧٥،٨٠

سورة لقمان

١٥ ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم﴾ ٧٧

سورة الاحزاب

٢٤ ﴿... أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾..... ٥٧
٧٣ -٧٢ ﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ...﴾ ..... ٢٥،٥٧
٧٠-٧١ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ ١

سورة سبإ

٩ ﴿... إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ ٧٩

سورة الصافات

٨٤ ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّه بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾..... ٧٥
١٣٩-١٤٨ ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ...﴾ ..... ١٠٧،١٠٨

سورة ص

١٧ ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾..... ٧٢،٧٤
١٩ ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ﴾..... ٧٢،٧٤
٢١-٢٥ ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ ١٠٣
٢٤ ﴿... فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾..... ٧٧،١٠٤
٢٥ ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾..... ١٠٤

٢٩ ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ..﴾..... ١٦
٣٤ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾..... ٧٧،١٠٦
٣٠ ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ..... ٧٢،٧٤،١٠٥
٤٠ ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ ٧١
٤٤ ﴿... إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ..... ٧٣،٧٤

سورة الزمر

٨ ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ ...﴾..... ٧٩
١٧ ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ ..﴾ ٧٧
٥٤ ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ﴾ ..... ٧٥،٧٧
٥٣ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ ٤١

سورة غافر

٣ ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ...﴾ ..... ٢٨،٤٠،٤٢،٦١،٦٧
٧ ﴿ ... لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾..... ٦١
١٣ ﴿... وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيبُ﴾ ٧٨
١٥ ﴿... يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ..﴾ ١٦
٨٥ ﴿فلم يكُ ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ...﴾ ٣٤

سورة الشورى

٢٥ ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ...﴾..... ١،٤٢،٤٣،٤٨،٤٩،٦٠،١١٣
١٠ ﴿... ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ ٧٨
١٣ ﴿ ... اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾..... ٧٨
٣٧ ﴿ ... وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾..... ٨٩
٥٢ ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا﴾ ١٧

سورة الأحقاف

١٥ ﴿.. إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ٥٨

سورة الحجرات

١١ ﴿... وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ..... ٣٩،٦٥
١٢ ﴿ ... وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾..... ٦٣

سورة ق

٨ ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ ٧٩
٣٢ ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ ..... ٧٣،٧٤
٣٣ ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ ..... ٧٥،٧٩

سورة الذاريات

١٨ ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ ٩٣

سورة النجم

٣٢ ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ ...﴾ ٨٣

سورة القمر

١٧ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ ١٦

سورة الرحمن

١٥ ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ ٩٠

سورة المجادلة

١٣ ﴿... فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ..﴾ ... ٥٧

سورة الممتحنة

٤ ﴿... رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ ٧٧

سورة التحريم

٤ ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ...﴾ ..... ٥٩،٦٥
٥ ﴿... قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ ..... ٦١،٦٧
٨ ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ ١،٧،٨،٣٨،٥٩،٦١،٦٧،٦٩،٩٥

سورة نوح

١٠ -١٤ ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ...﴾ ..... ٨،١١،٢٤،٩٤،٩٦

سورة المزمل

٢٠ ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ..﴾ ٥٨

سورة المدثر

٤١-٤٢ ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ. قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ ٨٦

سورة البروج

١٠ ﴿... ثُمّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَاب جَهَنَّمَ ..﴾..... ٦١
١٤ ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُود﴾..... ١٩

سورة الشمس

٩ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾..... ٤٢

سورة الزلزلة

٧-٨ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾..... ٤٥

سورة النصر

١ ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾..... ٩٣
٣ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾..... ٦٣،٦٨

فهرس الأحاديث والآثار

طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
(اتق الله حيثما كنت ...)	٣٣
(إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض لأحدهما ...)	١٠٤
(أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك)	١١٧
(إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار ...)	٩٠
(إن الله تبارك وتعالى يقبل التوبة العبد ...)	٣٣
(إن الله عز وجل أفرح بتوبة أحدكم ...)	٣٣
(إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة)	٧٢
(التائب من الذنب كمن لاذنب له)	١،٧
(حتى تمنيت أن لم أكن أسلمت ...)	٤٦
(رب اغفر لي وتب عليَّ إنك أنت التواب الغفور)	١١٢
(سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه)	١١٢
(سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي)	٩٣
(سبحانك ربي وبحمدك، اللهم اغفرلي)	٩٣
(الشرك أخفى فيكم من دبيب النمل)	٣٩
(الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ...)	٨٣
(كَانَ إِذَا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ أَوْ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ ...)	٧١
(الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس)	٨٤
(كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ)	٢،٣٣

(لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ...) ٥٣
(لا تمنوا الموت فإن هول المطلع شديد ...) ٧٥
(لا يحافظ على صلاة الضحى إلا أواب) ٧٣
(لعلك قبّلتَ أو غمزتَ أو نظرتَ)..... ١٢٣
(لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم) .....١٢٣،١٢٥
(لما أغرق الله فرعون ...) ٥٢
(اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ...) ٣٩
(لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ...) ..... ٤٢،٤٧
(من أحب أن تسره صحيفته فليكثر من الاستغفار) ٩٣
(من أحْسَن في الإسلام ...) ٤٣
(... من ترك الصلاة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله) ٨٦
(من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله) ..... ٣٥،٣٦
(مهلا يا خالد فوالذي نفسي بيده ...) ١٢٤
(ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة) ١٢٤
(النَّدَمُ تَوْبةٌ) ..... ٢٧،٣١
(والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله ...)..... ١٠٦
(والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة) ١١٢
(ويحك ارجع فاستغفر الله ...) ١٢٣
(يا أبا بَكر، ما رأيْتَ في الدنْيا ممَّا تكره ...) ٤٥
(يا أيها الناس توبوا إلى الله، فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة) ١١٢
(يقول الله عزوجل إني لأهم بأهل الأرض عذابا ...) ٩٢

فهرس الأعلام

الاسم **الصفحة**

إبراهيم عليه السلام ..... ٢٢،٩٢

أحمد: أحمد بن محمد بن حنبل..... ٣٦،٤٥،٧٥

الأَخفش: أبو الحسن سعيد بن مسعدة..... ٢٧

آدم عليه السلام ..... ٢٠،٩٨،٩٩

أنس: أنس بن مالك بن النضر ..... ٣٣،٩٢

البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم..... ٥٢

البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود..... ٧٣

الترمذي: أبو عيسى محمد بن سورة..... ٥٣

ابن تيمية: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ..... ٢٤،٣٥،٣٦،٨١،١١١

أبو حنيفة: النعمان بن ثابت..... ٣٥

أبو بكر الصديق ..... ٣٩،٤٥

أبو بكر الوراق ١٢١

الخازن: علاء الدين علي بن محمد ..... ٢١،٤٢،٧٥،١١٠

خيثمة: عبد الله بن خيثمة..... ١١٧

داود- عليه السلام..... ١٠٣،١٠٤

الرازي: محمد بن عمر..... ٦١،٧٠،٧٥،٩٠،٩٢

الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر..... ٤٠،٤٨،٩٩

سعيد بن المسيب بن حزن ٤٧

ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير.....
..... ١٠٧،١٠٤،١٠٠،٩٢،٨٤،٨٣،٧٦،٧٣،٦٢،٤٨،٤٧،٣٣،٢١،١٢
سليمان عليه السلام..... ١٠٦،١٠٥،٧٢
الشافعي: محمد بن إدريس بن العباس..... ٣٥
شعيب عليه السلام-..... ٢٢
أبو طالب المكي: محمد بن علي بن عطية..... ٨٧
الطبري: محمد بن جرير بن يزيد .....
..... ١١٠،٩٢،٨٢،٧٣،٧٠،٦٩،٥٩،٥٨،٤٩،٤٢،٤٠،١٩،١٢
عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها- ..... ١١١،٩٣
ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد..... ٧١
ابن عباس: عبد الله بن عباس..... ٥٢،٣٦،١٩
ابن العربي: أبو بكر بن العربي..... ١١١
عمرو بن العاص: عبد الله بن عمرو..... ٨٣
غامدية ١٢٤
الغزالي: أبو حامد بن محمد بن محمد..... ٤١
ابن فارس: أبي الحسن أحمد..... ٧١
القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر..... ٧٢،٥٦،٤٤،٣٨،٢٩
ابن قيم الجوزية: محمد بن أبو بكر بن أيوب..... ٩١،٨٧،٨٤،٤٤،٢٩
كعب: عمرو بن القين بن كعب..... ١٠٦،١٠٢،١٠١،٩٩
ماعز: ماعز بن مالك الأسلمي..... ١٢٣
مالك: مالك بن أنس بن مال..... ٣٥
مرارة: مرارة بن ربيعة العامري ..... ١١٧،١١٥
مسلم: مسلم بن الحجاج..... ١١٥
نوح عليه السلام..... ١٠١،٩٤،٢٤
هلال: هلال بن أمية عامر..... ١١٩،١١٥

هود عليه السلام ..... ٢٤،٩٤
يونس عليه السلام ..... ١٠٧،١٠

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم برواية حفص.

٢- أحمد بن حنبل (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) (مسند الإمام أحمد بن حنبل) المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط٢، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٣- أحمد بن محمد الأدنروي (طبقات المفسرين)، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، ط١، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ١٩٩٧م.

٤- الأخفش (للإمام أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي البصريّ، المتوفى: ٢١٥ هـ) معاني القرآن للأخفش، حققه الدكتور فائز فارس. دار البشير و دار الأمل، ١٤٠١ هـ /١٩٨١ م.

٥- الإسفراييني (أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد طاهر بن محمدبت أحمد الإسفرايين لقب، الإمام الكبير حجة المتكلمين المعروف أبو حامد الإسفراييني، المتوفى: ٤٠٦هـ): التبصير في الدين، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: عالم الكتاب.

٦- الدكتور إبراهيم أنيس، الدكتور عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد). معجم الوسيط، وأشرف على الطبع: حسن على عطية، محمد شوقي أمين، ط٢، ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م، في القاهرة.

٧- الإشبيلي (أبو محمد عبد الحق الإشبيلي، المتوفى: ٥٨١هـ) - أحكام الشرعية الكبرى، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، الناشر: مكتبة الرشد، مكان النشر السعودية / الرياض، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٨- الأصبهاني (أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، ط٤، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤٠٥هـ.

٩- الأصبهاني (أحمد بن علي بن منجويه الأصبهاني أبو بكر سنة الولادة (٣٤٧/ سنة الوفاة ٤٢٨)، رجال صحيح مسلم، تحقيق: عبد الله الليثي، الناشر: دار المعرفة بيروت، ١٤٠٧هـ.

١٠- الألوسي (شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، المتوفى: ١٢٧٠هـ) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار النشر: إدارة الطباعة المنيرية، تصوير دار إحياء التراث العربي بيروت- لبنان.

١١- البخاري، (محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي الجامع) الصحيح المختصر، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق، ط٣، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة – بيروت،١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م. والأدب المفرد: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط٣، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت،١٤٠٩ هـ- ١٩٨٩م.

١٢- ابن بطال (أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، المتوفى: ٤٤٩ هـ) **شرح صحيح البخارى،** تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط٢، مكتبة الرشد - السعودية / الرياض، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

١٣- الخطيب البغدادي (أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي)، تاريخ بغداد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

١٤- البغوي (أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، المتوفى: ٥١٠هـ) تفسير البغوي (معالم التنزيل)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، ط٤، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.

١٥- البيضاوي (ناصرالدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، المتوفى: ٦٨٥هـ) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المعروف بتفسير البيضاوي.

١٦- البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، المتوفى: ٤٥٨هـ) شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ.

١٧- الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذي، المتوفى: ٢٧٩هـ) الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٨- ابن تيمية (تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المتوفى: ٧٢٨هـ)، مجموع الفتاوى، المحقق: أنور الباز - عامر الجزار، ط٣، الناشر: دار الوفاء، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م. ومنهاج الأبرار في شرح كتاب التوبة والاستفار لشيخ الإسلام، للشيخ علي أحمد عبد العال الطهطاوي، دار الكتب العلمية بيروي، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤ م.

١٩- الجويني (هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن عبد الله بن حيوه الجويني، إمام الحرمين الجويني، المتوفى: ٤٧٨هـ)، الإرشاد، المحقق: الدكتور محمد يوسف موسى، الناشر: الخانجي بمصر.

٢٠- الحاكم (محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، المتوفى: ٤٠٥هـ) المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١١ هـ- ١٩٩٠م.

٢١- ابن حبان (محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، المتوفى: ٣٥٤هـ)، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ترتيب: علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي، المنعوت بالأمير، المتوفى: ٧٣٩هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة.

٢٢- ابن حجر (شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر الشافعي العسقلاني الكناني، فلسطيني الأصل مصري المولد، (٧٧٣ هـ - ٨٥٢ هـ)، الملقب بـ أمير المؤمنين في الحديث). فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت،

١٣٧٩هـ. والإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، عدد الأجزاء: ٨، ط١، الناشر: دار الجيل – بيروت، ١٤١٢هـ. وتهذيب التهذيب، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

٢٣- الخازن (علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، المتوفى: ٧٤١هـ) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، عدد الأجزاء / ٧، دار النشر: دار الفكر - بيروت / لبنان، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م.

٢٤- ابن خزيمة (محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، المتوفى: ٣١١هـ) صحيح ابن خزيمة، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

٢٥- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان المحقق: إحسان عباس، ط١، الناشر: دار صادر - بيروت، ١٩٧١م.

٢٦- أبو داود (أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني المشهور بأبي داود، المتوفى: ٢٧٥ هـ) إمام أهل الحديث في زمانه وهو صاحب كتابه المشهور بسنن أبي داود، عدد الأجزاء ٦، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت.

٢٧- الإمام الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي)، سير أعلام النبلاء، المحقق: مجموعة محققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، عدد الأجزاء: ٢٣، الناشر: مؤسسة الرسالة.

٢٨- الرازي (محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي أبو عبد الله فخر الدين ولد بالري، المتوفى: ٦٠٦هـ) من أعمال فارس من تصانيفه الكثيرة: تفسير الفخر الرازى، مفاتيح الغيب من القرآن الكريم. دار النشر / دار إحياء التراث العربى.

٢٩- الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، المتوفى: ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٠- السعدي (عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق.

٣١- أبو سعيد، الغنية في أصول الدين- المتولي الشافعي (أبو سعيد عبدالرحمن بن محمد) ، ط١، الناشر: مؤسسة الخدمات والأبحاث الثقافية - بيروت، ١٩٨٧م.

٣٢- الدكتور سليمان الصادق البيرة، من معالم الهدى القرآني في التوبة، (مكة المكرمة).

٣٣- السيوطي (عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد سابق الدين خن الخضيري الأسيوطي المشهور باسم جلال الدين السيوطي، المتوفى: ٩١١ هـ القاهرة)، جامع الأحاديث، وذيل طبقات الحفاظ للذهبي، دراسة وتحقيق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية. وطبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد عمر، ط١، الناشر: مكتبة وهبة – القاهرة، ١٣٩٦هـ.

٣٤- صدر الدين (صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي)، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ١٤١٨هـ.

٣٥- الطبراني (أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المتوفى: ٣٦٠هـ) المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة، ١٤١٥هـ.

٣٦- الطبري (محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المتوفى: ٣١٠هـ) جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، ط١، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٣٧- ابن عادل الحنبلي (أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، المتوفى: ٧٧٥هـ) - تفسير اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط١، عدد الأجزاء / ٢٠، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م.

٣٨- ابن عاشور (محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، المتوفى : ١٣٩٣هـ) التحرير والتنوير، التحرير والتنوير، المعروف بتفسير ابن عاشور، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان.

٣٩- ابن عباس (عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، ابن عم النبي محمد ﷺ) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس المؤلف: ينسب لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما، المتوفى: ٦٨هـ)، جمعه محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧ هـ).

٤٠- أبي العباس (أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب، سنة الولادة ٧٤٠هـ/ سنة الوفاة ١٢/ربيع الأول/ ٨٠٩هـ)، وكتاب الوفيات، تحقيق: عادل نويهض، الناشر: دار الإقامة الجديدة بيروت ١٩٧٨م.

٤١- علاء الدين (علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري، المتوفى: ٩٧٥هـ) وكتر العمال في سنن الأقوال والأفعال، المحقق: بكري حياني - صفوة السقا، ط٥، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٤٢- الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي النيسابوري الفقيه الصوفي الشافعي الأشعري الملقب بحجة الإسلام وزين الدين، المتوفى: ٥٠٥ هـ) إحياء علوم الدين، تحقيق سيد عمران، دار الحديث القاهرة، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٤٣- ابن الفارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، المتوفى: ٣٩٥ هـ) معجم مقاييس اللغه لابن الفارس. المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤٤- الفيروزابادي (مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازي الفيروزابادي، المتوفى: ٨١٧هـ). بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق عبد العليم الطحاوي و محمد علي النجار، دار النشر المكتبة العلمية.

٤٥- القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، المتوفى: ٦٧١هـ) الجامع لأحكام القرآن، وراجعه وضبطه وعلق عليه الدكتور محمد إبراهيم الحفناوي، وطبع، نشر. وتوزيع، دار الحديث القاهرة، ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢ م.

٤٦- ابن قيم الجوزية (محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، المتوفى: ٧٥١هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط٢، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م. وكتاب (**الداء والدواء**)، تحقيق هاني الحج ، المكتبة التوفيقية.

٤٧- ابن كثير(أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، المتوفى: ٧٧٤هـ) تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

٤٨- ابن ماجه (محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، المتوفى: ٢٧٣هـ)سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار الفكر - بيروت.

٤٩- محمد بن فتوح الحميدي (أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد بن يصل الأزدي الحميدي الأندلسي الميورقي الظاهري، المتوفى: ٤٨٨هـ) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، ط٢، دار النشر / دار ابن حزم - لبنان/ بيروت، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٥٠- مسلم (مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المتوفى: ٢٦١هـ)، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، الناشر: دار الجيل بيروت ودار الأفاق الجديدة ـ بيروت.

٥١- الدكتور مصطفى مسلم، مباحث في تفسير الموضوعي، ط٤، دار القلم، ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م.

٥٢- المناوي (زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن نورالدين علي بن زين العابدين الحدادي المناوي القاهري الشافعي (زين الدين) وتوفي سنة: ١٠٣١ هـ) التيسير بشرح الجامع الصغير، ط٢، دار النشر/ مكتبة الإمام الشافعي - الرياض، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٥٣- ابن منظور (أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، التوفى: ٧١١هـ) لسان العرب، الناشر: دار صادر بيروت، ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣م.

٥٤- النسائي (أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، المتوفى: ٣٠٣هـ)، سنن النسائي الكبرى، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، ط١، عدد الأجزاء ٢، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت،١٤١١ هـ- ١٩٩١م.

٥٥- النووي (محمد بن صالح بن محمد العثيمين، المتوفى: ١٤٢١هـ) شرح رياض الصالحين لإمام النووي. وشرح النووي على صحيح مسلم، الكتاب: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج المؤلف: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، ط٢، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٣٩٢ هـ.

٥٦- الواحدي (أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي المتوفى: ٤٦٨هـ) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.

٥٧- ابن أبي يعلى (محمد بن محمد (أبي يعلى) بن الحسين بن محمد، أبو الحسين ابن الفراء، المعروف ابن أبي يعلى، ويقال له ابن الفراء مؤرخ وفقية من فقهاء الحنابلة، المتوفى: ٤٥٨هـ) طبقات الحنابلة، لأبي يعلى الحنبلي والإعتقاد، المحقق: محمد حامد الفقي الناشر: دار المعرفة – بيروت.

٥٨- الجرجاني (علي بن محمد بن علي الجرجاني) التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٥، عدد الأجزاء: ١.

٥٩- الصابوني، (محمد علي الصابوني)، صفوة التفاسير، ط١، الناشر دار الكرآن الكريم، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

فهرس الموضوعات

الموضـــــــوع	رقم الصـــفـــحة
صفحة البسملة.....	أ
الإهداء.....	ب
صفحة الإقرار.....	ج
APPROVAL PAGE.....	د
إقرار.....	ه
DECLARATION.....	و
إقرار بحقوق الطبع.....	ز
المقدمة.....	١
الدراسات السابقة.....	٢
أهداف البحث.....	٣
مشكلة البحث.....	٣
حدود البحث.....	٣
منهج البحث.....	٣
هيكل البحث.....	٤
ملخص البحث.....	٦
تمهيد.....	١١

المبحث الأول

التفسير الموضوعي ودوره في فهم القرآن الكريم

المطلب الأول: تعريف تفسير الموضوعي لغة و اصطلاحا..... ١٣
المطلب الثاني: دور التفسير الموضوعي وأهميته في فهم النص القرآن الكريم ١٦

المبحث الثاني

التوبة ومكانتها عند الله عز وجل

المطلب الأول: صلة التوبة بأسماء الله تعالى الحسنى..... ١٩
المطلب الثاني: أهمية التوبة ومكانتها في حياة المسلم..... ٢٣

الفصل الأول

تعريف التوبة وشروطها وأحكامها وزمانها

المبحث الأول: تعريف التوبة لغة واصطلاحا..... ٢٧
المطلب الأول: تعريف التوبة لغة ٢٧
المطلب الثاني: تعريف التوبة اصطلاحا ٢٩
المبحث الثاني: شروط التوبة ٣١
المطلب الأول: شروط التوبة فيما يتعلق بحق الله..... ٣١
المطلب الثاني : شروط التوبة فيما يتعلق بحقوق الناس..... ٣٥
المبحث الثالث: أحكام التوبة وزمانها ٣٨
المطلب الأول: حكم التوبة ٣٨
المطلب الثاني: هل قبول التوبة مؤكد ؟..... ٤٠
المطلب الثالث: التوبة عن بعض الذنوب دون بعض..... ٤٤
المطلب الرابع: العودة للمعصية بعد التوبة من الذنوب ٤٧
المطلب الخامس: زمان التوبة ٥٠

الفصل الثاني

آيات التوبة في القرآن الكريم

المبحث الأول: آيات التوبة في القرآن الكريم وبيان معانيها وأقوال المفسرين فيها وصيغها ٥٦
المطلب الأول: آيات التوبة في القرآن الكريم وبيان معانيها وأقوال المفسرين فيها... ٥٦
المطلب الثاني: صيغ التوبة في القرآن الكريم ٦٤
المبحث الثاني: الفرق بين التوبة، الأوب، الإنابة ٦٩
المطلب الأول: التوبة، مع ذكر الآيات الواردة فيها في الفرآن الكريم..... ٦٩
المطلب الثاني: الأوب، مع ذكر الآيات الواردة فيه في القرآن الكريم..... ٧١
المطلب الثاني: الإنابة، مع ذكر الآيات الواردة فيها في القرآن الكريم..... ٧٥
المبحث الثالث: الذنوب وأقسامها ومحوها بالتوبة والاستغفار وفوائد التوبة والاستغفار. ٨١
المطلب الأول: تعريف الذنوب لغة واصطلاحا ٨١
المطلب الثاني: أقسام الذنوب ٨٣
المطلب الثالث: أسباب ارتكاب الإنسان للذنوب ٨٩
المطلب الرابع: حكم الاستغفار وفضله..... ٩٢
المطلب الخامس: وفوائد التوبة والاستغفار ٩٥

الفصل الثالث

قصص بعض التائبين في القرآن الكريم

المبحث الأول: قصص التائبين من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. ٩٨
المطلب الأول: قصة توبة آدم عليه السلام ٩٨
المطلب الثاني: قصة توبة نوح عليه السلام..... ١٠١
المطلب الثالث: قصة توبة داود عليه السلام..... ١٠٣
المطلب الرابع: قصة توبة سليمان عليه السلام ١٠٥
المطلب الخامس: قصة توبة يونس عليه السلام..... ١٠٧
المطلب السادس: قصة توبة النبي محمد ﷺ..... ١١٠

المبحث الثاني : قصص التائبين من أصحاب رسول الله ﷺ..... ١١٤
المطلب الأول: قصة توبة الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله في غزوة تبوك ١١٤
المطلب الثاني: قصة توبة ماعز الأسلمي من الزنا..... ١٢٣
المطلب الثالث: قصة توبة الغامدية من الزنا..... ١٢٤
الخاتمة ١٢٦
فهرس الآيات الكريمة..... ١٢٨
فهرس الحديث والآثار ١٤٠
فهرس الأعلام ١٤٢
المصادر والمراجع..... ١٤٤
فهرس الموضوعات..... ١٥٢